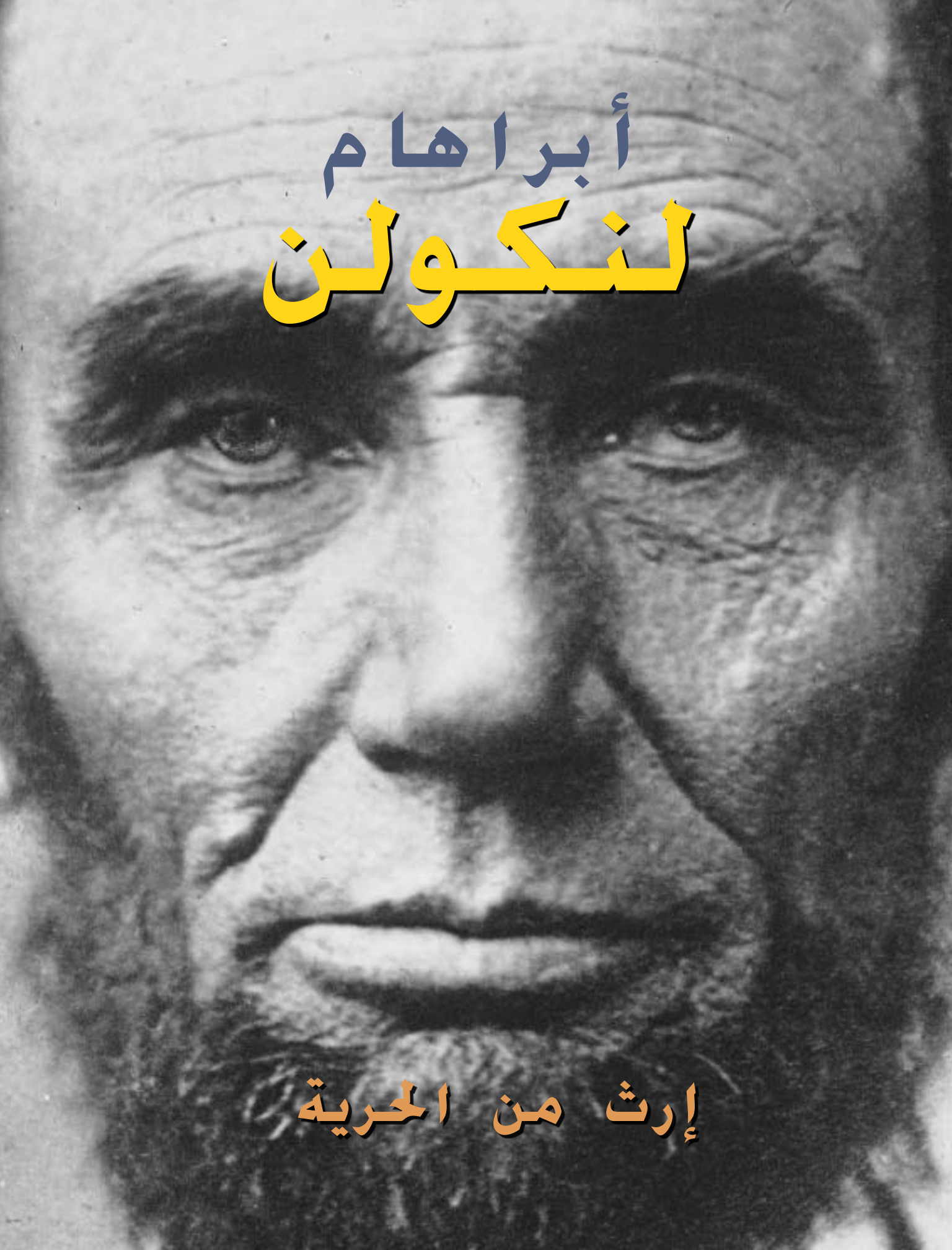
أبراهام
لنكولن
إرث من الحرية

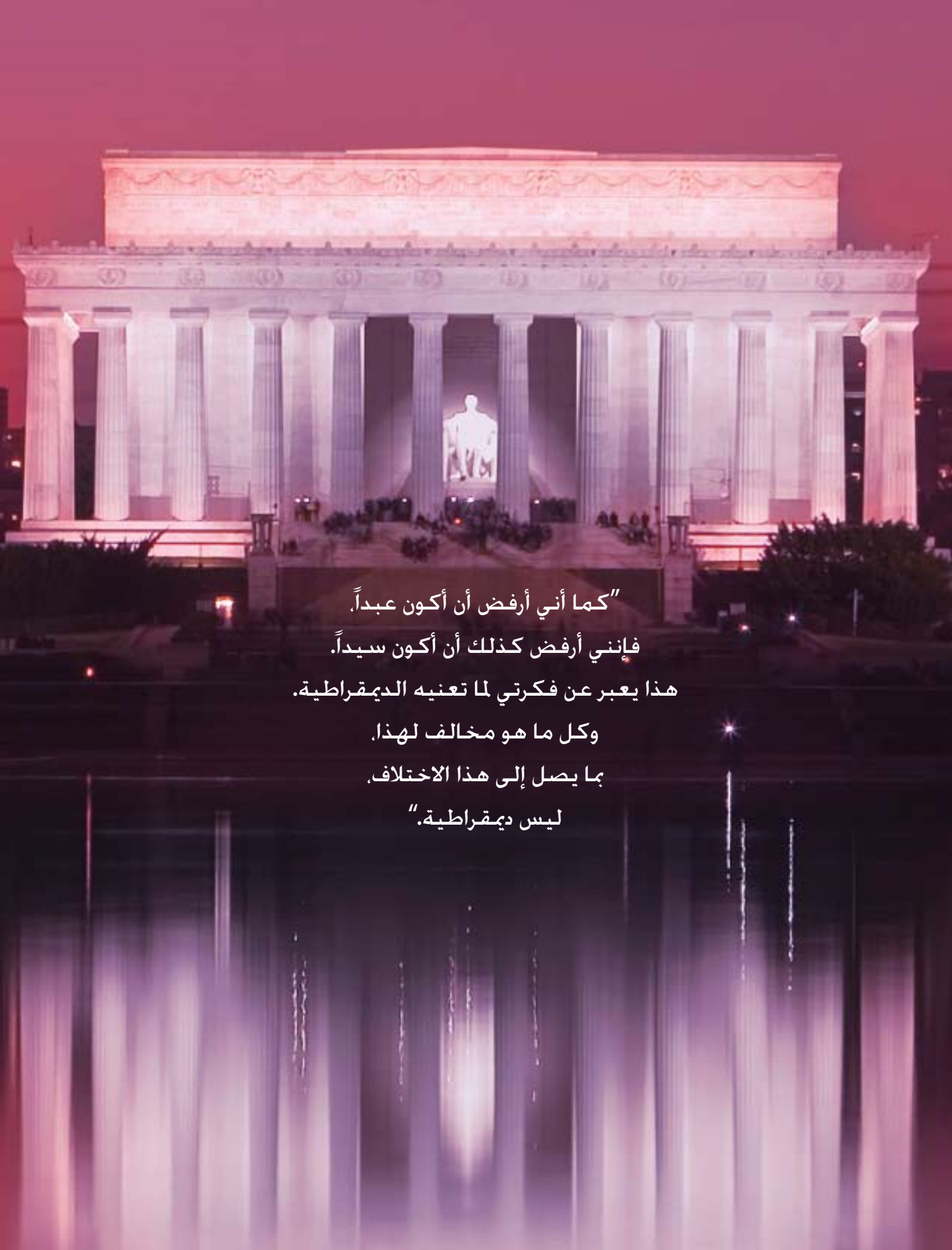

”كما أني أرفض أن أكون عبداً،
فإنني أرفض كذلك أن أكون سيداً.
هذا يعبر عن فكرتي لما تعنيه الديمقراطية.
وكل ما هو مخالف لهذا،
بما يصل إلى هذا الاختلاف،
ليس ديمقراطية.“

جدول المحتويات

أساس العظمة: أبراهام لنكولن حتى العام 1854 4
لنكولن في حياته المبكرة قبل حياته العامة

ماذا يعني أبراهام لنكولن بالنسبة للأميركيين اليوم 11
لنكولن كصناعة للكتابة والنشر

لنكولن: محرر الرّقيق 19
لنكولن والجدل حول الرقيق

كلمات حرّكت أمّة 25
بلاغة الرئيس أبراهام لنكولن

لنكولن الدبلوماسي 33
لنكولن في دور لم يشتهر به كثيرا

أوباما: أبراهام لنكولن "جعل قصتي ممكنة" 39
أوباما يحتفل بإحياء ذكرى مولد الرئيس الـ16 للولايات المتحدة

قناع لنكولن: صور لسر غامض دائم 41
معرض جديد يكشف عن دور لنكولن التحولي

أبراهام لنكولن: أقوال حكيمة 44

مصادر إضافية 45

أساس العظمة:
أبراهام لنكولن حتى العام 1854

بقلم دوغلاس ل. ويلسون

ولد لنكولن في العام 1809 في كوخ مبني من جذوع الأشجار لأبوين متواضعين لم ينالا حظهما من التعليم. ونشأ في مستوطنة بين الغابات في منطقة تكاد تكون برّية. وهو انكبّ. بفضل ما أحرزه من بضعة أشهر فقط من التعليم الرسمي بجد واجتهاد. على الدرس معلّما نفسه بنفسه الدروس .الأساسية في القراءة والكتابة والحساب

يعتبر أبراهام لنكولن مَعلَما أميركيا بارزا وأوسع الأميركيين شهرة، ورجل الدولة الوحيد الذي أصبحت قصة حياته رواية مألوفة يحفظها كل الناس. فحكاية لنكولن، نموذج الرجل العصامي الذي صنع نفسه بنفسه لينهض من بدايات مجهولة ووسط مغمور ويتسنم سدة الرئاسة، محفورة باقية في ذاكرة الأميركيين وخيالهم.

ومع أن الحكاية التي يعرفها الأميركيون عن الرئيس السادس عشر للبلاد معروفة بصفة عامة على أنها أسطورة أكثر من كونها سيرة حياة، فإن الخطوط العريضة لهذه القصة المألوفة في معظمها هي حقائق تاريخية.

ولد لنكولن في العام 1809 في كوخ مبني من جذوع الأشجار لأبوين متواضعين لم ينالا حظهما من التعليم، ونشأ في مستوطنة بين الغابات في منطقة تكاد تكون برّية. وهناك، عمل وهو في السابعة من عمره، حمل فأسا وساعد والده في إزالة الأشجار لتنظيف بقعة من الغابات البرّية واستصلاحها أرضا لمزرعة، ثم انكبّ، بفضل ما أحرزه من بضعة أشهر فقط من التعليم الرسمي بجد واجتهاد، على الدرس معلّما نفسه بنفسه الدروس الأساسية في القراءة والكتابة والحساب، وبما اكتسب من الأعمال الوضيعة التي اشتغل بها في سني فتوته وشبابه، عكف على تعليم نفسه من الكتب مواضيع شملت قواعد اللغة الإنجليزية وقدرا من الرياضات مكّنه من الاشتغال بالمسح الهندسي، وقدرا كافيا من القانون مكّنه من الانتماء إلى ممارسة مهنة المحاماة وهو في السابعة والعشرين من عمره، وكان، لا شك، هو الذي أنقذ بعمله الظافر الباهر الولايات المتحدة من أشد أزماتها، وخلّص البلاد من الانقسام والانحلال، وكان الرئيس الذي قضى على الرّق، ثم قضى نحبه كشهيد أميركي حقيقي.

على الرغم من أن شهرة لنكولن على النطاق العالمي نجمت عن تصرفاته وقراراته

"لا أدّعي أنني أسيطر على مجرى الأحداث، لكنني أعترف صراحة أن الأحداث هي التي سيطرت عليّ."

"البرية الحقيقية": كوخ مبني من جذوع الأشجار، مكان ولادة أبراهام لنكولن، وهو اليوم موقع تاريخي في نوب كريك بولاية كنتاكي.

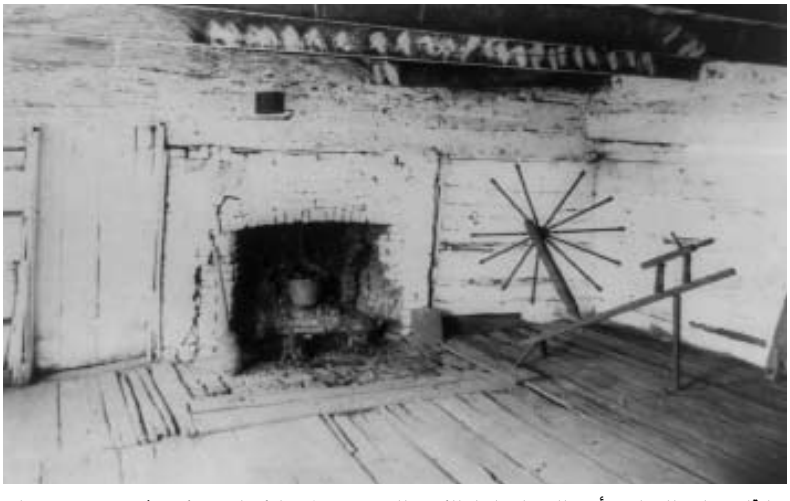

باتجاه عقارب الساعة: أدنى اليسار، داخل الكوخ الذي ترعرع فيه لنكولن، مفكرة شخصية صنعها لنكولن لتدوين عملياته الحسابية. كان لنكولن يسرق بعض اللحظات من عمله في محل تجاري ليغرق في مطالعة كتب القانون. على متن مركب لنقل المنتوجات الزراعية عبر الأنهار من إلينوي الى نيو أورلينز.

الحاسمة كرجل دولة ورئيس للبلاد في فترة الحرب الأهلية من العام 1861 حتى العام 1865، فإن الأسطورة التي تغلّف حياته، ويعيها ويحفظها الأميركيون جيدا، هي تلك المتأصلة في التصورات المألوفة عن سني حياته المبكرة – كابن رجل فقير من سكان التخوم الأميركية في ولاية إنديانا، حامل الفأس، والولد القابع في الكوخ الخشبي مكبا على القراءة في النور الضئيل المنبعث من المدفأة، وكاتب الحانوت الأمين، ومدير مكتب بريد القرية، والقادم الجديد الشجاع غير الهياب في الوقوف والتصدي للمشاغبين المتنمّرين، ومسّاح الأراضي حامل البوصلة والسلسلة الذي علم نفسه مهنة المسح الهندسي، والطالب المجدّ الذي أعد نفسه لممارسة القانون والمحاماة.

غير أن هناك جوانب أساسية هامة في نموّه وتطوره ليست من عناصر الأسطورة الشعبية، على وجه العموم، مثل تفكيره المنطقي وحرصه العقلاني المتشكك المتحرّي والمصاعب الفعلية التي كان عليه أن يتصدى لها خلال السنوات التي شكّلت حياته.

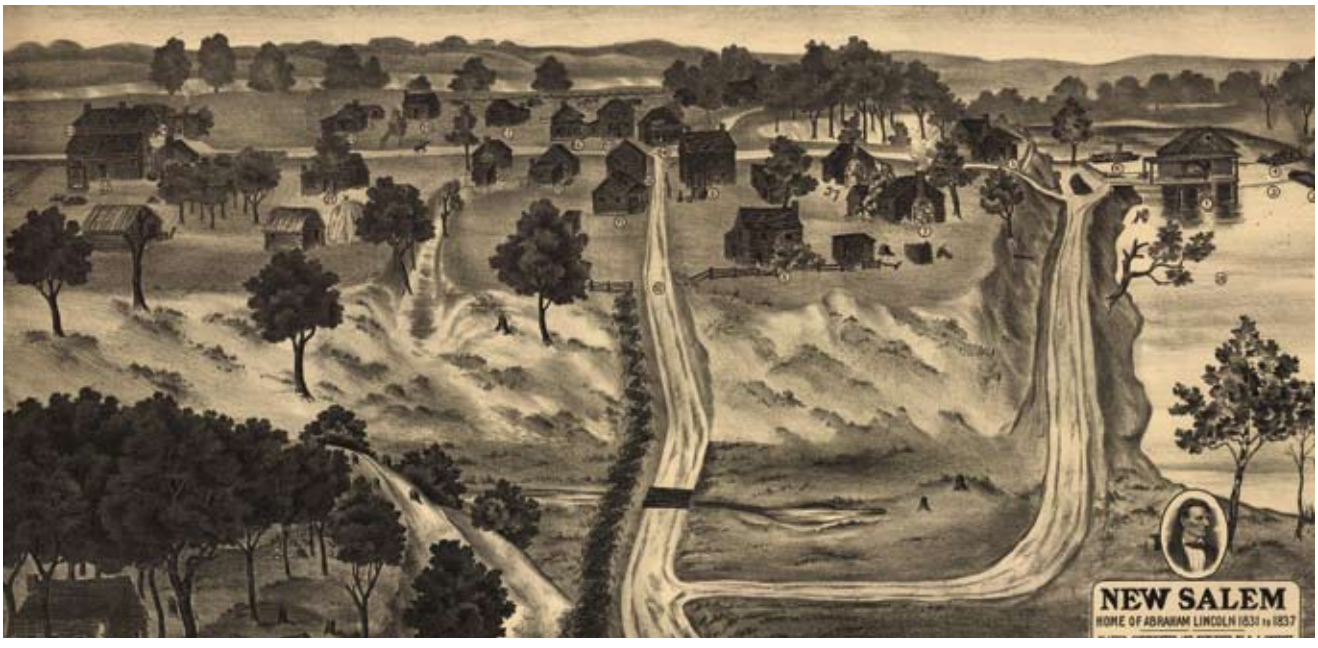

وصل لنكولن الى قرية نيو سالم بولاية إلينوي، وكان في الثانية والعشرين من عمره. وبعدها بوقت قصير انتخب عضوا في مجلس إلينوي التشريعي.

عقل ناضج منفتح للتعلم

كان لنكولن مختلفا عن غيره من البداية وله أسلوب لم يرض عنه ويقرّه كثير من الجيران ولا حتى والده على الأخص. فعلى النقيض من نشأ بينهم لنكولن، كان شديد الاهتمام بالكلمات والتعابير ومعانيها. فتعلم القراءة والكتابة وهو في سن مبكرة جدا وسعى جادا وراء الكتب يقترضها من أصحابها ويدوّن ملاحظاته عن ما يقرأ فيها. ورأى أبوه وأترابه في تصرفه هذا ضربا من الكسل الشديد والتهرب من مهام العمل في المزرعة.

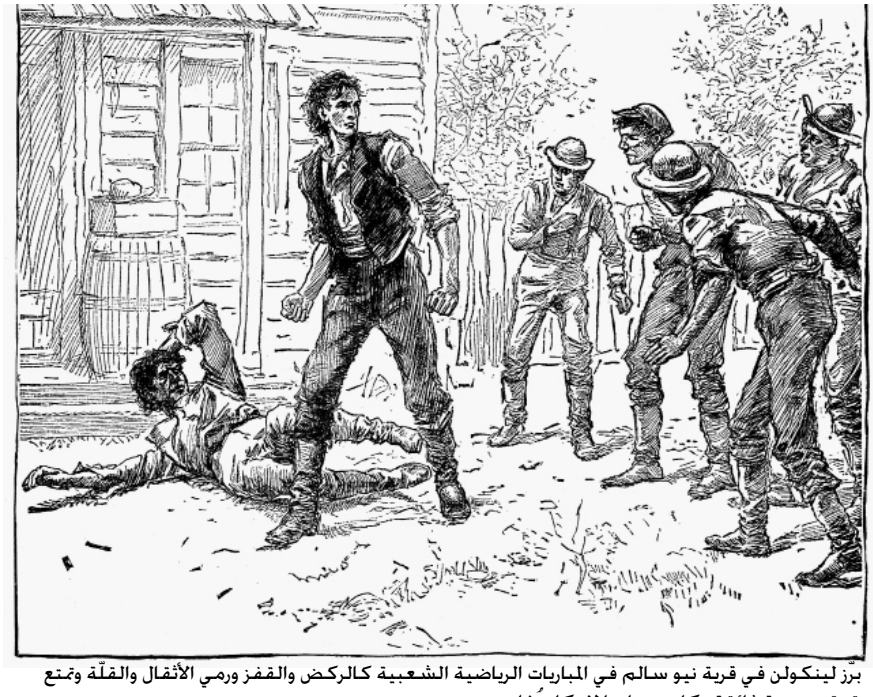

برز لينكولن في قرية نيو سالم في المباريات الرياضية الشعبية كالركض والقفز ورمي الأثقال والقلّة وتمتع بقوة جسدية فائقة وكان مصارعا لا يكاد يُغلب.

لكن لنكولن لاقى التشجيع من زوجة أبيه التي أسرّت في ما بعد لشريكه في مهنة المحاماة وليام إتش هيرندون بأن الصبي، مع أنه "لم يرغب في العمل البدني" لم يكن كسولا، بل كان "مجدا في طلب المعرفة – وكان راغبا في التعلّم، وعلى استعداد لتحمّل الألم والكدّ إذا تأكد أنهما يحققان له ذلك."

في حين كانت قراءات لنكولن في شبابه نقطة مضيئة دوما في أسطورته، فلعلها ليست لها تلك الأهمية في كتاباته على المدى الطويل. فبعد اغتياله، بحث شريكه السابق هيرندون عن جيران لنكولن ومعارفه في ولاية إنديانا وقابلهم، وتذكّر كثيرون منهم أن الشاب لنكولن حقق لنفسه شهرة وبرز ككاتب مقال وشاعر موهوب. وثبت في نهاية المطاف أن كتاباته لم تقلّ أهمية عن أفعاله، فهي ما زالت بين أكثر الكتابات المألوفة وأعمقها تأثيرا في الأدب الأميركي.

عندما غادر لنكولن منزل الأسرة مختارا خوض معترك الحياة بمفرده وهو ابن الثانية والعشرين، حطّ به المقام في قرية نيو سالم الصغيرة في ولاية إلينوي حيث أمضى ست سنوات حافلة بالعمل والنشاط. ونظرا لمظهره غير الجذاب خالي الأناقة، كثيرا ما اتهمه البعض بالبلاهة ووصفوه بسوء الذوق في الملبس. لكن غيرهم من أهل القرية سرعان ما اكتشفوا فيه طاقات وإمكانات مميّزة. .

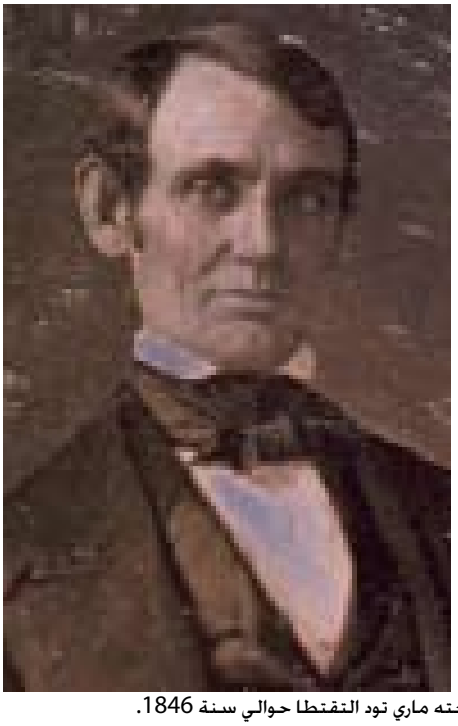

أقدم صورتين فوتوغرافيتين معروفتين لأبراهام لنوكلن وزوجته ماري تود التقتطا حوالي سنة 1846.

فإلى جانب كونه ألمعي الذكاء، كان واسع الاطلاع والمعرفة، عدا عن أنه تحلّى بطباع رائقة غير اعتيادية ومزاج ودود، برّز في المباريات الرياضية الشعبية كالركض والقفز ورمي الأثقال والقلّة وتمتع بقوة جسدية فائقة وكان مصارعا لا يكاد يُغلب. ومع أنه لم يكن يشرب الخمور، فإنه كان أنيسا مسامرا ذا قدرة كبيرة على رواية القصص والحكايات. واكتسب لنكولن محبة واسعة. وعندما استدعيت المليشيات (الحرس الوطني) لمحاربة الهنود في السنة الأولى من إقامته في قرية نيو سالم اختير قائدا (كابتن) للسرية المحلية. وهو شرف استحضر ذكراه بعد سنوات طويله ووصفه بأنه نجاح "لم يمنحه أي نجاح بعده في حياته ذلك القدر الكبير من الرضى."

وإذ اعتمد على نفسه في إعالة نفسه من اشتغاله بأعمال مختلفة، واظب لنكولن على الدرس بجد واجتهاد طيلة سنوات إقامته في نيو سالم عاملا على تعويض ما افتقر إليه من تحصيل التعليم الرسمي، وهو أمر ظل لنكولن واعيا له بألم طيلة حياته. استعار الكتب أينما وكلما تسنى له ذلك، فدرس التاريخ والسّير الشخصية وأظهر شغفا وقابلية نهمة لهضم الأدب وولعا خاصا بشكسبير والشاعر الأسكتلندي روبرت بيرنز.

رغم أن لنكولن نشأ وتربّى في أسرة معمدانية مواظبة على ارتياد الكنيسة، فقد قاوم الالتزام بالانتماء الديني. وتأثرا منه بمنطقية القرن الثامن عشر الفكرية التي نادى بها المفكرون الواقعيون من أمثال الكونت دي فولني وتوماس بين، طوّر لنكولن رأيه الخاص المتشكك في المبادئ العقائدية الأساسية للمسيحية. وإذا كان ذهابه إلى الكنيسة في صغره لم يغرس في نفسه الإيمان الديني، فقد حفز فيه اهتماما ظلت آثاره مرافقة له في بعض جوانب حياته وأخصها الخطابة العامة. فبعد ما كان يسلّي رفاق لعبه في الغابات بخطاباته فيهم مقلدا احتفالات المناسبات من على جذوع الأشجار المقطوعة في غابات إنديانا انضم في نيو سالم إلى جمعية للمناظرة لتنمية قدراته الخطابية وتطويرها.

بواكيره السياسية

إذا كان لنكولن لم ينجرّ إلى تأثير حميّة الحماسة الدينية والخلافات الطائفية التي صبغت ثقافة سكان التخوم الاستيطانية التي نشأ فيها، فقد انجذب اهتمامه إلى السياسة في مرحلة مبكرة. والسياسة، شأنها شأن معظم الشؤون التي حصر لنكولن همه فيها، سرعان ما برهنت على طواعيتها له وأثبت وجوده فيها كخطيب مرموق مؤثر وموهبة اعتمد عليها نجاحه السياسي اللاحق. فقبل أن ينقضي العام الأول على وجوده في نيو سالم أعلن لنكولن نفسه مرشحا لعضوية مجلس الولاية التشريعي وكانت تلك المرة التي وصفها في ما بعد بأنها "المرة الوحيدة التي هزمني فيها الشعب."

فعندما رشّح لنكولن نفسه في الانتخابات التالية نجح بسهولة وخدم في عضوية المجلس أربع فترات متتالية. ورغم كونه أصغر المشرّعين سنا، فقد اختير زعيما للردهة مسؤولا عن تنظيم نشاطات حزب الويغ (حزب الأحرار المعارض لبريطانيا آنئذ) وهو منصب شرف أتاح له فرصة التعبير عن فاعلية تأثيره الخطابي ونشاطه وقدرته على التنظيم والزعامة.

اتّسمت طبيعة سياسات لنكولن المبكرة بالطابع التثقيفي المحض. فببلوغه النضوج في زمان ومكان كان فيهما مؤيدو أندرو جاكسون الذي يتمتع بشعبية واسعه وحزبه الديمقراطي يشكلون الأغلبية الساحقة، برهن لنكولن مرة أخرى على أنه مختلف. وأعلن نفسه في وقت مبكر جدا بأنه معارض "ضد جاكسون" في السياسية. وكان واضحا أنه منجذب إلى تدابير التنمية الاقتصادية التي فضّلها معارضو جاكسون في حزب الويغ، كالمصارف التي ترعاها الحكومة، والتحسينات الداخلية. ولو كان هدف لنكولن تحقيق النجاح في الانتخاب فقط فقد أخطأ الاختيار في اختياره الويغ الحزب الخطأ.

ظل لنكولن عند انتقاله إلى نيو سالم محاطا بديمقراطيي جاكسون رغم أن القضايا التي سادت الحملات الانتخابية للمجلس التشريعي كانت في غالبيتها ذات طبيعة محلية أكثر منها قومية. ولكنها مع ذلك تكشف الكثير عن سياسي ناشئ أثبت أنه قادر على الفوز بانتخابه وبهامش كبير في دائرة انتخابية موالية لجاكسون.

لقي لنكولن وهو يخوض حملته الانتخابية لعضوية المجلس التشريعي، تشجيعا من جون تود ستيوارت الذي كان يعمل محاميا في مدينة سبرينغفيلد، عاصمة ولاية إلينوي، ومساعدة في الدرس للانضمام إلى نقابة المحامين. وكتب لنكولن في وقت لاحق واصفا نفسه بصيغة الغائب قائلا عن نفسه "كان يستعير الكتب من ستيوارت ويحملها معه إلى البيت ويدفن نفسه فيها بشوق وشغف. لم يتتلمذ على أحد، واستمر في عمله كمسّاح كي يدفع تكاليف مسكنه ومأكله وملبسه. وعندما التأم المجلس التشريعي في دورته، نُحّيت الكتب جانبا ليعود إليها بعد ختام الجلسة." انضم لنكولن بعد حصوله على رخصة مزاولة القانون إلى ستيوارت كشريك جديد صغير وانتقل إلى سبرينغفيلد في العام 1837. وانتخب ستيوارت بعد ذلك بقليل لعضوية الكونغرس الأميركي وانتقل إلى واشنطن تاركا للنكولن مهمة إدارة المؤسسة وتعلّم ممارسة المحاماة على مسؤوليته وحده. وبعد سنوات قليلة انضم لنكولن إلى مؤسسة ستيفن ل. لوغان رئيس نقابة محامي مدينة سبرينغفيلد. ومع أن إعداد لنكولن للمحاماة كان محدودا، فقد أعاد لوغان في وقت لاحق إلى الذاكرة قائلا "لكنه كان يتولى قضية ما ويحاول أن يعرف كل ما يتعلق بها، فأصبح بهذه الطريقة عندما غادر هذه المنطقة محاميا رائعا."

لنكولن يقع في الحب

يتفق رفاق لنكولن وأصدقاؤه على أنه لم يكن مهتما أبدا بالفتيات في طور نموّه ونشأته. ولكنه وقع في شرك الحب عند انتقاله إلى نيو سالم حيث أحب ابنة صاحب حانة اسمها آن رتليدج. ولم تطل خطبتهما حتى أصيبت آن بما عرف آنذاك "بالحمّى الدماغية" ولم تلبث أن توفيت بعد أسابيع قليلة. وكانت أمّه قد توفيت فجأة وهو في التاسعة من عمره. ولعل هذين الحادثين لموت أمه وحبيبته هما اللذان كان لهما التأثير الأوضح في الاضطراب العاطفي الذي عاناه آنذاك. فخشي أصدقاؤه من أن يؤدي به حزنه المفرط وتأسّيه إلى الانتحار.

بيد أن لنكون استعاد عافيته بتدريج بطيء. فلم تكد تنوف سنة على ذلك حتى كان لنكولن يتودد إلى أنثى أخرى وهي هذه المرة ماري أوينز وهي امرأة مثقفة من عائلة ثرية في ولاية كنتاكي. وقد عرفنا من الرسائل الباقية أنه وصل في تلك العلاقة إلى نقطة الخطبة لكنه اكتشف أنه لا يحب ماري أوينز. وحاول التملص من إمكانية الزواج.

فأقنعها بأنه ليس جديرا بها. وعندما أبدت له أنها ليست ملتزمة ولا مُلزمة قرر أن كرم الأخلاق والشهامة تقتضيه أن يعرض عليها الزواج. فأدهشه وكدّره أنها ردّته ورفضته. واعترف يوما لأحد الأصدقاء موضع سره بقوله "هناك آخرون جعلت الفتيات منهم حمقى أغبياء. ولكن هذا لا يصدق أبدا عليّ. فأنا بكل تأكيد الذي جعلت الأحمق من نفسي."

وبعد مضي أقل من سنة وجد لنكولن نفسه متورطا مع حسناء أخرى من كنتاكي أيضا. وكانت هذه أعلى تعليما وأكثر ثقافة وتهذيبا ومن أسرة أوسع ثراء من الأولى. كانت ماري تود من مدينة لكسينغتون. كان هناك طلاّب كثر يخطبون ودّها. ولكنها لأسباب غامضة وضعت لنكولن نصب عينها وفي محط اهتمامها. ومرة أخرى، وفي اللحظة الحاسمة، قرر لنكولن أنه لا يحب ماري تود وأنه منجذب إلى أخرى، ورغب في إنهاء العلاقة. لكن الأمر لم يكن بالسهولة السابقة هذه المرّة.

تبعت تلك الحادثة فترة أخرى من الشعور السوداوي. وكتب لنكولن إلى شريكه في المحاماة في واشنطن قائلا "أنا الآن أكثر إنسان تعاسة على قيد الحياة. ولو توزع ما أشعر به بالتساوي على الأسرة البشرية كلها لما بقي وجه باشّ على وجه الأرض." واستعاد لنكولن ذكر هذه الملاحظة بعد 23 سنة عندما كان في البيت الأبيض وأعلن لصديقه جوشوا سبيد أنه عندما صاغ إعلان تحرير الرّق (تحرير الأميركيين الأفارقة المسترقّين في الكونفدرالية الثائرة) كان يأمل أنه قد فعل أخيرا شيئا يبقى في الذاكرة.

استرد لنكولن في النهاية عافيته وعاد إلى علاقته بماري تود. وفي 4 تشرين الثاني/نوفمبر 1842 فاجأ لنكولن وتود حتى أقرب أصدقائهما إليهما وأقاربهما بإعلان قرارهما الزواج في اليوم نفسه. فقد كان واضحا لمعارفهما قبل الزواج أنهما ليسا متناسبين ومتوافقين مع بعضهما كزوجين. وسرعان ما اتضح ذلك من خلافاتهما حول تنشئة أبنائهما وتوقعاتهما. لم يكن لنكولن يهتم بمظهره أو لياقته، بينما تمسكت بهما زوجته ووجدت صعوبة في السيطرة على فورات غضبها ومزاجها كلما اختلفا. فنظرا لنشأتها في وسط أرستقراطي في أسرة جنوبية، حيث كان الأرقاء يؤدون الخدمات والأعمال الوضيعة، لم تكن السيدة لنكولن الجديدة مؤهلة ومعدّة للتدبير المنزلي الذي كانت تمارسه الطبقة المتوسطة. وبما أن عمل لنكولن كان يتطلب السفر لأسابيع أحيانا، فقد زاد ذلك من حدة المشاكل العائلية. غير أن حب الزوجين الشديد وتعلقهما بأبنائهما ساعدا في خلق رابطة ثبّتت أسس الأسرة النامية.

عضوية الكونغرس

في الوقت الذي أقدم فيه لنكولن على الزواج تقريبا، امتنع عن خوض الانتخابات لفترة خامسة لعضوية المجلس التشريعي للولاية وبدأ يتطلع إلى انتخابات الكونغرس الأميركي. وعندما نجح واحتل مقعده في مجلس النواب في كانون الأول/ديسمبر 1847 كانت الحرب المكسيكية توشك على الانتهاء بالنصر.

فلم يتوان لنكولن في الانضمام إلى جماعة حزب الويغ ومهاجمة الرئيس جيمس بولك لتحريضه على شن حرب غير دستورية وغير عادلة بهدف الاستيلاء على مزيد من الأراضي. وقد أثار هذا الموقف انتقادات شديدة للنكولن في ولايته حيث كانت الحرب تحظى بتأييد شعبي واسع.

وحتى إلى جانب مخالفته من حيث المبدأ أهالي دائرته الانتخابية الديمقراطيين المؤيدين للحرب فقد تسبب في الإهانة لزملائه في حزب الويغ بأسلوبه العملي.

ومع أن الكثيرين من أعضاء حزب الويغ الهامين فضّلوا تأييد الشخصية البارزة في حزبهم هنري كلاي لخوض انتخابات الرئاسة في العام 1848 أعلن لنكولن تأييده لبطل الحرب الجنرال زكاري تيلور. ولما لم يكن لتيلور أي نشاط سياسي أو انتماء حزبي فقد جادل لنكولن بأن الحزب خسر انتخابات عديدة وأصبح بحاجة ماسة إلى الفوز.

ولعل من المفارقة الساخرة أن تيلور الفائز بالرئاسة تجاهل توصية لنكولن بالتعيينات الحكومية ورفض الاستجابة لطلب لنكولن الخاص بتعيينه رئيسا للمكتب العام للأراضي بعد انتهاء فترته في الكونغرس.

عاد لنكولن بعد خدمته القصيرة في الكونغرس إلى إلينوي وقد أحبطت طموحاته السياسية ولم تلق جهوده المكثفة وأداؤه النشيط في خدمة حزبه جزاء ولا شكورا.

بعد فترة من عودته كتب لنكولن مرة أخرى بصيغة الغائب عن نفسه قائلا "عمد بعد عودته من الكونغرس إلى مزاولة المحاماة بشغف أشد مما كان له في أي وقت من الأوقات.

" وحاز لنكولن بتكريسه اهتمامه لامتهانه القانون على الشهرة كمحام واكتسبت مؤسسته القانونية مكانة مرموقة في الأوساط القانونية في إلينوي.

وكتب عن نفسه قائلا "كان كأنما بدأ يفقد اهتمامه بالسياسة" مشيرا إلى أنه بدأ يدفع نفسه إلى الاهتمام بالمجالات الثقافية والفكرية ومنها، على سبيل المثال، إجادة علم الهندسة الإقليدية (نسبة إلى إقليدس).

لكن مشكلة الرق حميت وعادت إلى الواجهة من جديد في خمسينات القرن التاسع عشر. فما كان من ولع لنكولن القديم بالسياسة إلا وأن دبت فيه الحيوية من جديد وعلي غير توقّع.

فكتب عن نفسه قائلا "في العام 1854 كانت مهنته قد أوشكت على الطغيان على الفكر السياسي في ذهنه عندما أثار إلغاء اتفاقية ميزوري اهتمامه بشكل لا سابق له."

ماذا يعني أبراهام لنكولن بالنسبة للأميركيين اليوم

بقلم أندرو فيرغيسون

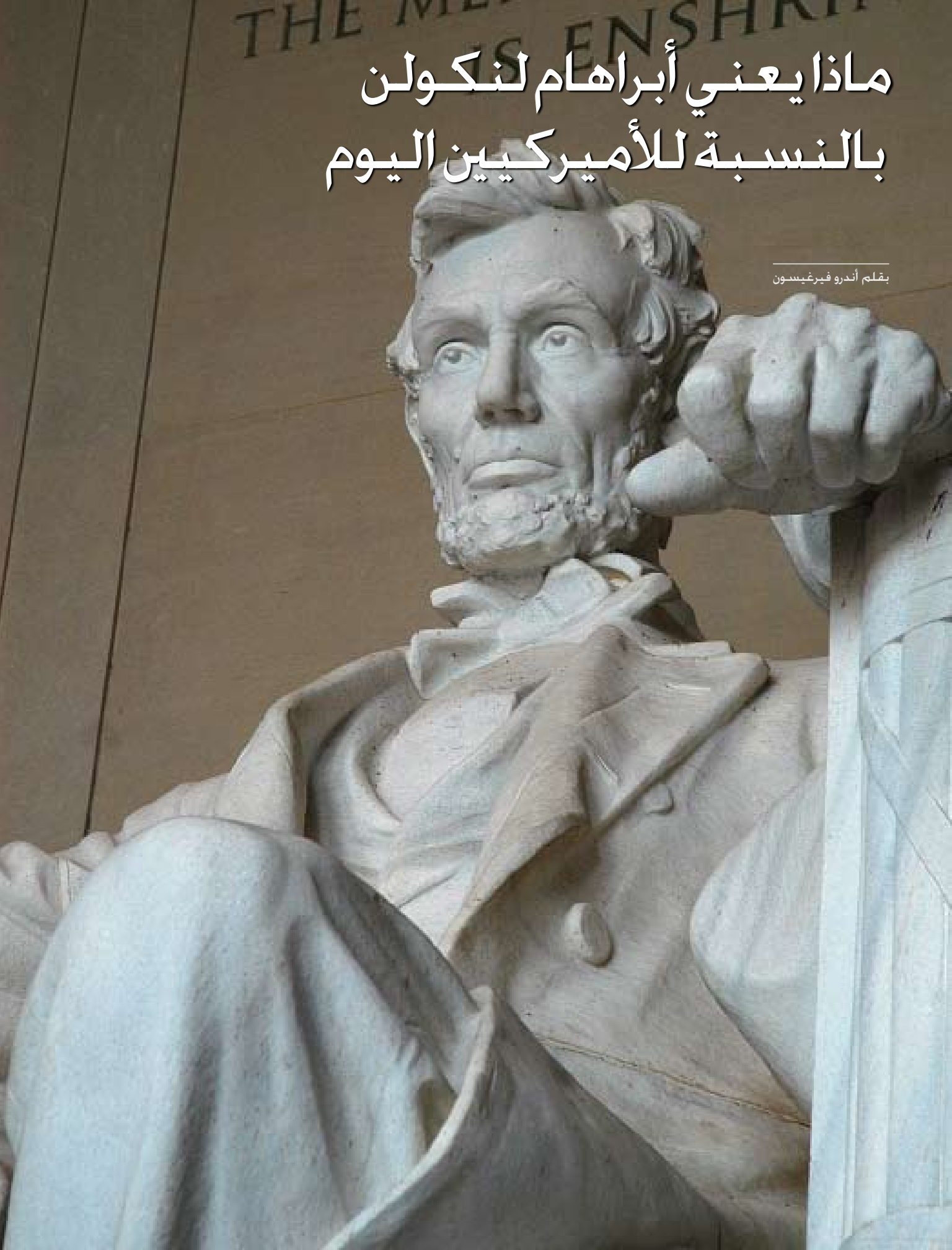

صاح أحد معارفي من مؤلفي الكتب مندهشا "آه"، عندما أبلغته أنني وقّعت عقدا لتأليف "كتاب عن أبراهام لنكولن. وهو كتاب تحتاجه أميركا فعلا." ومن قبيل الحق والإنصاف (من جانبي) لم يكن الكتاب عن لنكولن على وجه التحديد. أو لم يكن عن لنكولن بشكل مباشر على الأقل. وحتى مع ذلك، فإن سخرية صديقي كانت لاذعة واخزة.

"رأي الشعب هو كل شيء. فبرأي الشعب لا يخيب شيء، وبدونه لا شيء ينجح."

كان هناك شيء من الحقيقة في تلك الملاحظة. فهو لم يعرف الأرقام، ولكنني كنت أعرفها. فمنذ تلك الحادثة المأساوية في مسرح فورد حيث سلبت رصاصة الغادر حياة أبراهام لنكولن صدر أكثر من 14,000 كتاب عن لنكولن، جاعلة منه صاحب المرتبة الثانية بعد المسيح ونابليون في الاستحواذ على اهتمام مؤلفي الكتب والكتّاب في العالم. ولم تتباطأ سلسلة إصدار الكتب منذ ذلك الحين. ولا تبدو الآن أي بوادر على تباطؤها، بدليل قراءتك مقاطع من الكتاب الذي اقتطف منه هذا المقال. لم يكن قد مضى طويل وقت على بداية عملي في تأليف كتابي عن لنكولن حتى ألحّت علي الفكرة.

كنت في عطلة نهاية أحد الأسابيع في سبرنغفيلد، المدينة التي تحدر منها لنكولن بولاية إلينوي، لحضور مؤتمر حول لنكولن. (والواقع هو أن عطلة نهاية أي اسبوع ستكون شاذة بالنسبة لسبرينغفيلد إذا لم يعقد خلالها مؤتمر حول لنكولن). كان الجمهور كبيرا، إذ ضم نحو 100 من العلماء والكتاب والمؤرخين الهواة وأصحاب الهوايات والمعجبين، وعددا قليلا من الذين بدا من مظهرهم أنهم من المشردين. وقاطع عريف المؤتمر عند نقطة ما سير المؤتمر ليطالب الجمهور بالتعريف عن نفسه برفع الأيدي.

قال سائلا "من قبيل الفضول فقط، كم من الموجودين هنا عاكف على تأليف كتاب عن أبراهام لنكولن؟"

وكان أن رفع نصف عدد الحاضرين تقريبا أيديهم. شعرت بثبوط عزيمتي، ولكنني لم أتراجع. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت أصطدم بالعراقيل والمصاعب العملية التي تخلقها الوفرة الهائلة من المعلومات عن لنكولن للذين تصيبهم حماقة محاولة إضافة جديد إليها. ولا تشمل هذه المصاعب مجرد التنقيب في مسيرة طويلة من السجلات التاريخية المكتوبة وحسب، بل وتتجاوزها أيضا إلى كل ما تجمّع على مر الزمن من حقائق واكتشافات يمكن أن تخطر على البال. صحيح أننا ما زلنا نتعلم ونعرف شيئا جديدا عن لنكولن بين حين وآخر، لكن هذه الاكتشافات، رغم ضآلتها وندرتها،

احتفل بتدشين نصب أبراهام لنكولن التذكاري على أحد مداخل العاصمة واشنطن، سنة 1922. والتمثال المصنوع من الرخام الأبيض بارتفاع يزيد على خمسة أمتار ونصف، يتكون من 28 قطعة تم تجميعها في موقعه.

تثير فضول ممتهني الكتابة والمنقبين غائري العينين من استحواذ الاطلاع عليهم. والكتب التي صدرت مؤخرا وحظيت باهتمام عند الجمهور لا تشتمل على أكثر من مجرد معالجة حقائق قديمة وترتيبها بأسلوب ونظام جديدين. وأما بالنسبة لي فكانت هناك مشكلة عادية غير متوقعة ولم يحسب لها حساب مسبقا، وهي مسألة العنوان. وليكن كل كاتب على علم وحذر بأن هناك خزانة من 14,000 كتاب عن لنكولن أطلق مؤلفو بعضها العنوان نفسه الذي اختاره مؤلف الكتاب الجديد.

لوحة من مخيلة رسامها للكوخ الذي ولد فيه لينكولن والمناظر الطبيعية التي تلفه.

لنكولن والمطبوعات

أقوال لنكولن الشهيرة التي تراوحت بين "مولد جديد للحرية" و"دون ضغينة لأحد" وبين "مع المحبة للجميع" و"من الشعب وبالشعب وللشعب" التي يمكن اقتطافها من مضمونها. استعيرت كلها وطبعت عناوين لأغلفة الكتب. وبزيادة التمحيص، تبين لي أن هناك سلسة دوّارة متصلة الحلقات من الكلمات التي بدا وكأنها منحت المؤلفين والكتّاب عددا محدودا من الكلمات التي أجبروا على ترتيبها وتنضيدها بنظم وأشكال مختلفة. وكانت هناك عناوين مثل "سيف لنكولن" و"السيف ملك لنكولن" و"لنكولن والجنرالات" و"جنرالات لنكولن" و"عالم أبراهام لنكولن" و"العالم الخاص لأبراهام لنكولن" و"فضائل لنكولن" و"لنكولن الفاضل." وكانت هناك أيضا عناوين مثل "على خطى لنكولن" و"في أثر خطى لنكولن"، ثم من قبيل التنوع كان عنوان "في أثر لنكولن." وعرفتُ من خلال بحثي الخاص أن هناك ثلاثة كتب تحمل عنوان "لنكولن الحقيقي" التي يعرض كل منها صورة يقول إنها للنكولن الحقيقي. ولكنها مختلفة تماما عن كل من الصورتين المرسومتين له في الكتابين الآخرين.

لم يدهشني هذا كما كان ينبغي له أن يفعل بقدر ما أدهشني شيء آخر فاجأني في أبحاثي المتعلقة بكتابي. وهو كتاب بعنوان "أرض لنكولن" والذي لا ينبغي الخلط بينه وبين كتاب "أرض لنكولن الحيّة" الذي صدر في العام 1980 من تأليف توماس ج. فليمينغ. كما أدهشني كم لنكولن هناك يطوفون ويترددون علينا. كنت صبيا في أوائل الستينات عندما خيم ظل لنكولن الكبير بشكل لا مفر منه وأصبح ملكا مشتركا ومعيارا للبلاد كلها. وبدا أن كل فرد له لنكولنه الخاص به. وكان صرح إرثنا القومي الكبير كأنما تجزأ إلى قطع صغيرة أصبحت كل منها ملكية خاصة.

وتوالت الكتب تحكي القصة مرّة بعد أخرى. وصدر في السنوات الأخيرة كتاب حاول أن يثبت لنا أن لنكولن كان مسيحيا أصوليا متعصبا. وكان الكتاب بالطبع من تأليف مسيحي متشدد. وقال كتاب آخر إن عظمة لنكولن نبعت من صراعه مع مرض اكتئابي. وكان المؤلف طبعا صحفيا صارع مرض الاكتئاب. ولعل أكثر الكتب شهرة، من حيث سوء السمعة، كتاب ألفه ناشط في الحركة المثلية (العلاقة الجنسية المماثلة) نشر في العام 2005 مؤكدا أن لنكولن وإن لم يكن مدافعا ناشطا عن المثلية الجنسية فقد كان هو نفسه مثليا فعلا.

والمحافظون ألفوا كتبا عن نهج لنكولن المحافظ. والليبراليون ادّعوه واحدا منهم في كتب وصفت لنكولن بأنه ليبرالي. وصدر في العام 2003 كتاب يبرهن على أن لنكولن، لو عاش اليوم، فإن أفكاره السياسية لن تختلف أو تتميز عن أفكار حاكم ولاية نيويورك ماريو أوكومو، ولكم أن تتخيلوا من هو مؤلف الكتاب.

الافتتان بلنكولن ومحاولة فهمه

قد يتعرض القارئ أمام هذه اللهفة على إماطة اللثام عن لنكولن والبحث تحت القشور، لإغراء الإجابة عن التساؤل الذي اتُّخذ عنوانا لهذا المقال وهو، ما الذي يعنيه لنكولن عند الأميركيين اليوم؟ بسؤال عفوي مقابل هو ما الذي لا يعنيه لنكولن للأميركيين اليوم؟ فهو إذ يبدو كأنه يعني كل الأشياء في آن معا فهو قد يبدو أيضا من ناحية فلسفية أن لنكولن لم يعد له أي معنى خاص بالمرة. لكن هذا ولا شك قول عفوي مرجّل. فهناك شيء أميركي خاص محض في مجرد المبالغة والحماسة اللتين لنا في افتتاننا بلنكولن. وقد توصّلتُ إلى الاعتقاد بأن فهم هذا الافتتان ربما كان وسيلة لا لفهم لنكولن وحسب، ولكن لفهم البلاد نفسها أيضا.

صحيح أنه لا مجال لإنكار حمية العاطفة، لكنها تدعو في الوقت نفسه إلى الاندهاش كونها تصدر عن بلد يفترض أنه غير مبال بالنسبة لتاريخه الخاص. فليس هناك أميركي غيره استقطب مثل هذه الرغبة الفضولية في البحث والدرس والمديح والتعريض والتنقيب عنه باستثناء نابليون، كما لم يشاركه أي كائن بشري في التاريخ الحديث هذا المصير الباهر الذي لا يصدق. ثم إنه ما من شخص قط، حتى نابليون، كان مصدر وحي وإلهام لجماعة تكسب عيشها من ادعائها بأنها مثل هو، مثلما كان لنكولن.

شغل لنكولن مقعداً في مجلس ولاية إلينوي التشريعي، الذي تبدو في الصورة قاعة اجتماعاته الأصلية، وقد زينتها قبعة لنكولن المشهورة.

صورتان تذكران دائما بالرئيس الأميركي السادس عشر، قبعته وورقة الخمسة دولارات التي تتوسطها صورته.

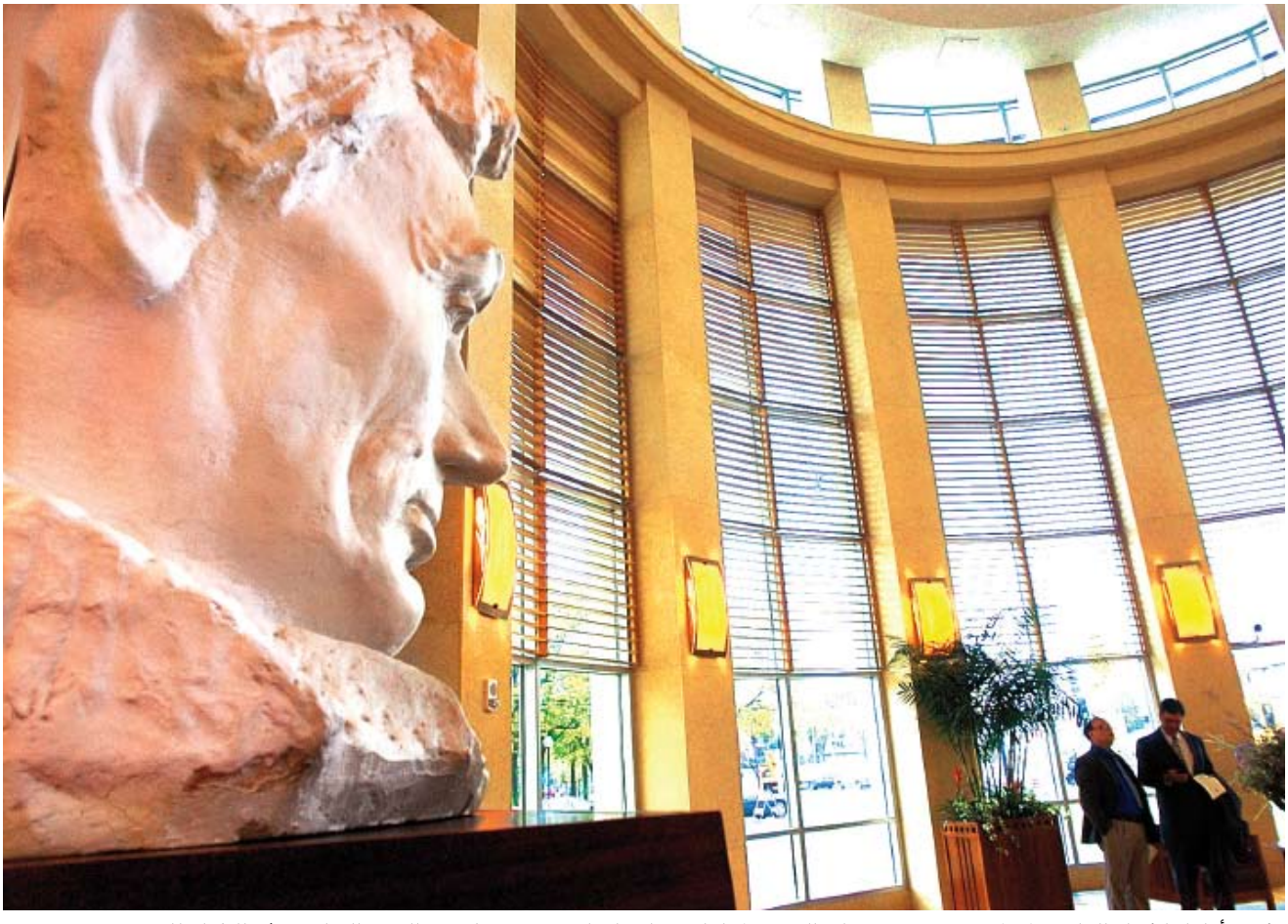

مكتبة أبراهام لنكولن الرئاسية في في مدينة سبرينغفيلد بإلينوي توفر لقاصديها معلومات ونسخ سجلات عن الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة.

فهناك، من ناحية، جمعية ممثلي لنكولن وهي عبارة عن نقابة مهنية كغيرها من النقابات. وهناك، على سبيل المثال، اتحاد نقابات العمل، وجمعية أصحاب الصناعات والجمعية الدولية لرعاية الحيوانات الأليفة، وجمعية ممثلي لنكولن، شأنها شأن الجمعيات والنقابات الأخرى تعقد مؤتمرات سنوية لاجتماع أعضائها مع بعضهم وتبادل النصائح المهنية وتحسين أداء أعمالهم التجارية. ويرتدي أعضاء الجمعية الذين يمثلون شخصية لنكولن سترة طويلة سوداء اللون وقبعة مستديرة عالية على غرار ما كان يلبس لنكولن، ويضعون لحية سوداء مستعارة، إن لم تكن حقيقية. ويعود كل منهم بعد المؤتمر إلى حيث جاؤوا منتعشين لبدء عملهم بنشاط متجدد في المدارس، وإلقاء الخطب في النوادي أو الاستعراضات في المعارض، وهي نشاطات بمثابة عمل تبشيري بلنكولن في بلد يعتقدون أنه بحاجة إلى لنكولن أكثر من أي شيء آخر. وسألتُ مؤسس جمعيتهم مرة عن سبب اهتمامهم هذا، فقال لي إن "لنكولن يذكّرنا بما نحتاج معرفته ولكننا نسيناه."

لعل من الصعب وصف انطباع تأثير رؤية أكثر من 100 شخص يشبهون لنكولن متجمعين في قاعة أحد الفنادق وهم يستمعون إلى خبير في العلاقات العامة يتحدث عن "جعل وسائل الإعلام تعمل لخدمتك". لكنني اعتدت على غرابة هذا المشهد في بحثي عن لنكولن.

قد يكون هناك نحو 15,000 أميركي من الحريصين الجادين على جمع مقتنيات وتحف لها علاقة بذكرى لنكولن، وذلك على الرغم من أن أثمان الوثائق والمواد الفنية الأصلية التي وصفها أحد هواة جمع التحف بأنها "الأشياء الجيدة فعلاً" قد ارتفعت وأصبحت باهظة لا تتيسر إلا للخبراء الموسرين.

ومع ذلك فإن هواة الجمع من ذوي الموارد المتواضعة لا يثنيهم ارتفاع الأسعار. فعمدوا بذكاء معتاد إلى التقليل من أهمية نوعية المقتنيات بحيث تصبح أسعارها ضمن المعقول المقبول. فـ "الأشياء الجيدة" يمكن أن تشمل الآن، على سبيل المثال، غطاء علبة ثقاب (كبريت) من شركة تأمين لنكولن القديمة التي يبلغ ثمن أحدها 10 دولارات.

وقد أثبتت مزايدات البيع في موقع إي باي على شبكة الإنترنت أن كل ما يمكن أن تكون له علاقة بلنكولن سيجد له من يشتريه. أما الأوراق والوثائق المكتوبة بخط يد لنكولن فتبلغ أثمانها عشرات آلاف الدولارات. ولذا بدأ عشاق لنكولن من غير الأغنياء الاتجار بوثائق لنكولن المزوّرة، وخاصة تلك التي من صنع المزور الشهير جوزيف كوزي، الفنان الذي جمع ثروة من الغش والتحايل في الثلاثينات.

قال لي أحد هواة جمع التحف التذكارية إن النسخة المزورة من "رسالة لنكولن" تباع بنحو 2,500 دولار "لكن يجب الحذر والتأكد من أنها فعلا من تزوير كوزي. فسوق المقتنيات الآن حامية وهناك كثير من المواد المزورة."

التعبير عن التجربة الأميركية

حاول المؤرخون وعلماء الاجتماع عبر نحو قرن من الزمن تفسير ظاهرة الافتتان التاريخية التي تؤدي إلى مثل هذه المحبة الزائدة التي لا يستوعبها العقل. وجاءت الأسباب التي توصلوا إليها في تفسيراتهم متسمة غالبا بالذكاء وكانت مقبولة أحيانا. فلنكولن ما زال يأسر خيال أبناء وطنه وينال إعجابهم بشكل لم يسبق له مثيل بالنسبة لأي شخص في التاريخ وذلك لأنه، كما قيل لنا، كان أول شخصية من هذا النوع يلتقط له عدد كبير من الصور الفوتوغرافية.

فهو بالنسبة لنا شخص حقيقي أكثر من غيره من الشخصيات التاريخية السابقة. وصحيح أيضا أن لنكولن كان ذا حس مرهف بالنسبة لاختيار الطريقة التي يقدم بها نفسه ويعرض شخصه للجمهور بما في ذلك طريقة فن التصوير الفوتوغرافي حديث العهد حينئذ. وندر أن ترك لنكولن مناسبة تمر دون أن تلتقط له فيها صورة. ويبدو أننا نتيجة لتلك الرهافة والفطنة صرنا نعرفه بشكل لن يتاح لنا أبدا لمعرفة جورج واشنطن أو توماس جيفرسون كما عرفناه.

ومع ذلك، فإن هناك من يجادل بأنه بغض النظر عن وجهه الذي ألفناه وما عرفناه في عينيه الحزينتين وشعره الأشعث، فإن لنكولن ما زال محيّرا وغير معروف. وهذا الغموض هو الذي يجرنا ويجذبنا إلى ذلك الرجل السوداوي، الفكه، الذكي، المتحفظ، البعيد، الرقيق كما وصفه معارفه. ويقول مؤرخون آخرون إن سر افتتاننا به متأصل في أحداث قصة حياته هو الشخصية.

فمن مولد متواضع في فقر مدقع والوصول إلى مكانة واحد من أعظم الرجال في التاريخ يجسّد لنكولن "الحق في النهوض" والارتقاء الذي يعتبره الأميركيون حقا يولد معهم. ثمة آخرون يعتبرون اغتيال لنكولن يوم الجمعة العظيمة،

والذي كان صدمة لا يبدو أن أميركا قد أفاقت منها بعد، هو سر دوام شهرته. ويقول المنظّرون من أصحاب أكثر التفكير اعتدالا ورزانة إننا مفتونون بلنكولن إلى درجة الاستحواذ لأنه كان رئيسا ومثالا يجسد أكبر صدمة في التاريخ الأميركي وهي الحرب الأهلية التي أعادت صياغة الولايات المتحدة وتشكيلها من جديد في البلد الذي نعرفه اليوم.

وثيقة إعلان تحرير العبيد الأصلية محفوظة في مكتبة نيو يورك العامة.

ينتمي أعضاء جمعية ممثلي لنكولن الى كل الأعمار، ويلقون خطبهم التبشيرية في أي مكان، من الصفوف المدرسية الى قاعات الإصلاحيات. ولما سئل مؤسس الجمعية عن سبب هذا، قال إن "لنكولن يذكّرنا بما نحتاج معرفته ولكننا نسيناه."

أعتقد أن هناك حقيقة صادقة في كل هذه التفسيرات، غير أن آخرها، في رأيي، هي أقرب ما تكون إلى الحقيقة الشاملة. فأنا لا أعيش بعيدا عن النصب التذكاري للنكولن في واشنطن العاصمة حيث ينتصب ذلك الصرح الجليل اللافت للنظر على ضفاف نهر البوتوماك مقر تمثال "لنكولن الأيقوني." وبينما كنت عاكفا على أبحاثي لكتابي عن لنكولن وأقضّي أوقاتا طويلة مع العلماء وجامعي التحف والمقتنيات والمفتونين بلنكولن وأتعرف من كل واحد منهم على لنكولن فريد يخصهم، لنكولن نسجوه وشكّلوه حسب اجتهاداتهم، كنت أشعر أيضا بالسعادة والرضى عندما أعود أدراجي إلى مقري وأزور النصب لأرى ذلك المجسّم الصلد للنكلولن، لنكولن الدائم الذي يمكن أن يدّعيه ويفاخر به كل أميركي.

نصب لنكولن هو أكثر النصب التذكارية الرئاسية استقطابا للزوار، ولعل أغرب ما في زيارته هو السكينة التي تنزل على السياح والصمت الذي يخيم عليهم وهم يرتقون الدرجات المؤدية إلى الرواق الرخامي البارد في النصب.

وسرعان ما يلفت انتباهم واحد من خطابين للنكولن منقوشين على الجدارين عن يمين التمثال الشهير وشماله، وها أنا بعد كل هذا أعجب لعدد الزوار الذين يقفون جامدين لقراءة خطاب لنكولن في غتيسبيرغ المنقوش في جهة وخطاب تنصيب لنكولن الثاني في الجهة المقابلة.

إن ما يقرأه الزوار هو في الواقع موجز التجربة الأميركية معبّرا عنها في نثر في أروع صيغة يستطيع أي أميركي كتابتها. فأحد الخطابين يعيد تأكيد تأسيس البلاد على فرضية معينة والإخلاص لها، وهو الحقيقة الشاملة التي تنطبق على كل الناس في كل مكان.

والخطاب الثاني يعلن أن بقاء البلاد مرتبط إلى حد ما ببقاء الافتراض. فلو أن البلاد لم تبق ولم تعش لكان الافتراض قد ضاع أيضا. وأحيانا تدمع أعين السياح، والواقع أن عيونهم كثيرا ما تغشيها الدموع، وبمشاهدتهم يستطيع المرء أن يدرك أن محبة لنكولن، عند الأميركيين، هي حب بلدهم.

هذا ما يعنيه لنكولن للأميركيين اليوم، ولماذا يعنيهم إلى هذا الحد البعيد.

من مسيرة العام 1963 إلى واشنطن التي شارك فيها ما يضاهي الربع مليون شخص واستمعوا خلالها الى خطاب مارتن لوثر كينغ الشهير "لدي حلم." الى الشابين المدافعين عن الحياة البرية. كان نصب لنكولن التذكاري دائماً مكان تجمع الأميركيين المفضل للتعبير عن مطالبتهم بالتغيير.

لنكولن: محرر الرّقيق

بقلم مايكل جاي فريدمان

عند بعض الأميركيين، يبقى أبراهام لنكولن على مرّ الزمن "محرر الرقيق العظيم"، ويظل الرجل الذي حرر الأميركيين الأفارقة من العبودية. وأما بالنسبة للبعض، فهو انتهازي ترصّد حركة إلغاء الرّق وتستّر وراءها، وكان في الواقع من المدافعين عن نزوح الأميركيين السود وهجرتهم الطوعية إلى الخارج، ومن المؤمنين بالتفوق العرقي للبيض.

فأي هؤلاء كان لنكولن؟ والجواب العادل المنصف عن هذا التساؤل يتطلب تقييما محايدا لشخص لنكولن وأعماله ضمن إطار زمانه ودوره في الحياة العامة. جاهر لنكولن في العام 1858 بالقول "لقد كنت دائما أبغض الرّق مثل ما كرهه أي مطالب بإلغائه." لكنه عندما تحدّاه خصمه السياسي ستيفن ا. دوغلاس، واتهمه بأنه يؤيد المساواة العنصرية ردّ لنكولن بالقول "لست، ولم أكن أبدا من مؤيدي المساواة الاجتماعية والسياسية بين الجنسين الأبيض والأسود بأي شكل من الأشكال." وهاجم لنكولن غريمه قائلا "إن هذا المنطق الزائف الذي يدعي أن مجرد عدم رغبتي في أن تكون امرأة زنجية عبدة لي يعني بالضرورة أنني أريدها زوجة." ودعا الرئيس لنكولن قبل وقت قصير من توقيعه إعلان تحرير الأرقاء في الجنوب الكونفدرالي وفدا زائرا من المحرَّرين السود إلى التفكير في الهجرة إلى هايتي أو أميركا الوسطى وقال لهم "إن ذلك أفضل لنا ولكم أن نكون منفصلين."

"رأي الشعب هو كل شيء. فبرأي الشعب لا يخيب شيء، وبدونه لا شيء ينجح."

لعل أكثر ما يزيد أفعال لنكولن وأعماله وضوحا وفهما هو أن الحياة التي اختطّ سبيلها لنفسه لم تكن حياة معلّم أخلاق أو رسول، ولكنه كان كما وصفه المؤرخ الشهير جيمس م. ماكفيرسون على الشكل التالي:

كان سياسيا، ممارسا فن الممكن بمهارة، براغماتيا عمليا أيد مبادئ (إلغاء الرق)

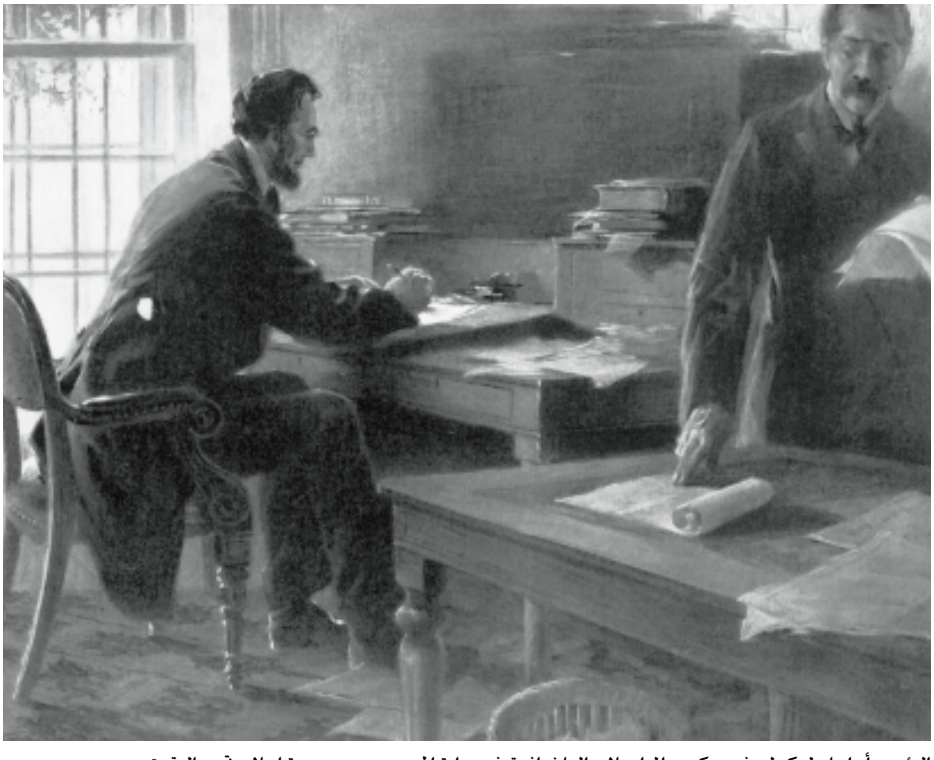

الرئيس أبراهام لنكولن في مكتب المراسلات التلغرافية في وزارة الحرب، يدون مسودة إعلان تحرير الرقيق.

لكنه آمن بأنها يمكن أن تتحقق تدريجيا خطوة فخطوة عن طريق الاتفاق والتفاوض وانسجاما مع سرعة تقدم التغييرات في الرأي العام والواقع السياسي.
وعلى أية حال، فمهما استجاب لنكولن وخضع للرأي العام، فقد صمد وظل ثابتا دائما على إيمانه الأساسي بما نصت عليه وثيقة إعلان الاستقلال من أن كل الناس يتمعون بالمساواة في حقوقهم غير القابلة للتصرف في الحياة والحرية والسعي في سبيل نشدان السعادة. وظل لنكولن، خلافا لما كان عليه الحال في أوائل القرن التاسع عشر، رجلا متحررا لا يقر التحيز والتحامل الاجتماعي.

اجتمع فريدريك دوغلاس، المفكر الأميركي الكبير والناشر والمنادي بإلغاء الرق، بالرئيس لنكولن في البيت الأبيض في العام 1864 وصرح بعد الاجتماع قائلا "لم أشعر قط وأنا في حضرته بأي تذكير لي بأصلي المتواضع ولا بلوني غير المحبوب."

فقد استقبل الرئيس لنكولن دوغلاس كما قال "تماما كما يستقبل رجل فاضل مهذب رجلا فاضلا مهذبا آخر." وخلص دوغلاس إلى القول إن لنكولن "من الأميركيين القلائل الذين يستطيعون أن يستقبلوا زنجيا ويتحدثوا معه دون تذكيره بأي طريقة أبدا بأنه من لون غير مستحب."

تحديد القضية الحقيقية

كانت القضية الأساسية المميزة لسياسة لنكولن، قبل بلوغه الرئاسة، هي المعارضة المتصلبة لامتداد الرق إلى مناطق غرب البلاد. وكانت المسألة بالنسبة للنكولن مسألة أخلاقية معنوية.

وقد أوضح موقفه هذا بشكل مذهل في مناظرته الأخيرة مع ستيفن دوغلاس في حملة التنافس الانتخابية لمجلس الشيوخ في العام 1858 وحدد المشكلة بقوله إن "القضية الحقيقية" هي قضية صراع. إذ قال:

من ناحية، هناك طبقة تنظر إلى ثقافة الرق على أنها خطأ. ومن الناحية الأخرى، هناك طبقة لا تعتبرها خطأ... وهذا هو الصراع الأزلي في العالم كله بين هذين المبدأين، خطأ كانا أم صوابا.

وهما مبدآن ظلاّ يواجهان أحدهما الآخر منذ الأزل وسيظلاّن في صراع إلى الأبد. الأول هو حق الإنسانية العام، والآخر هو الحق الإلهي للملوك.

غير أن ولاء لنكولن النهائي كان للاتحاد. ففي الوقت الذي كانت فيه الحرب الأهلية مستعرة، كتب لنكولن إلى هوريس غريلي، محرر جريدة نيويورك تريبيون، المتنفذ قائلا "إن أهم هدف لي في هذا الصراع هو إنقاذ الاتحاد، وليس إنقاذ الرق أو القضاء عليه. وإذا كان باستطاعتي أن أنقذ الاتحاد دون أن أحرر أي أرقاء فإنني سأفعل، وإذا كان باستطاعتي أن أنقذه بتحرير كل العبيد فإنني سأفعل ذلك أيضا." ولتحقيق هذا الهدف سمح لنكولن للولايات الحدودية التي كانت تقر سياسة الرق وانحازت إلى الاتحاد بالاحتفاظ بالرقيق حتى نهاية الحرب. فعندما قرر أحد جنرالات الاتحاد أن يعلن من تلقاء نفسه إلغاء الرق في بعض مناطق الجنوب، بادر الرئيس بسرعة إلى إلغاء الأمر محتفظا لنفسه بسلطة اتخاذ مثل هذا الإجراء.
كانت المشكلة، من وجهة نظر أبراهام لنكولن القائد السياسي وقت الحرب، هي أن الرأي العام في الشمال لم يكن مستعدا بعد لتحرير الأرقاء. غير أنه طبقا لما وثّق المؤرخ جيمس أوكس، تمكّن لنكولن ببلاغته وتعليلاته خلال سنوات الحرب الأولى من إعداد الأمة لتلك الخطوة. فرغم أن أبراهام لنكولن ألغى أمر التحرير الذي أصدره الجنرال ديفيد هنتر في أيار/مايو من العام 1862، فإنه أضاف بعناية متعمدة فقرة تؤكد صلاحيته هو في إصدار أمر مماثل. وفي حزيران/يونيو بدأ يكتب سرا مسودة ذلك الأمر.

وفي تموز/يوليو، في حين تعطلت جيوش الاتحاد وتوقفت عن التقدم، أطلع لنكولن أعضاء وزارته سرا على أنه بدأ ينظر الآن إلى مسألة تحرير الرقيق على أنها ضرورة عسكرية. وكان هذا صحيحا تماما من ناحية جدلية علاوة على كونه دهاء سياسيا. فالسود الأرقاء كانوا يشكلون أغلبية في القوى الكونفدرالية العاملة وسيعمل اجتذابهم إلى صف قضية الاتحاد فورا على تقوية المجهود الحربي للشمال ويضعف قدرة

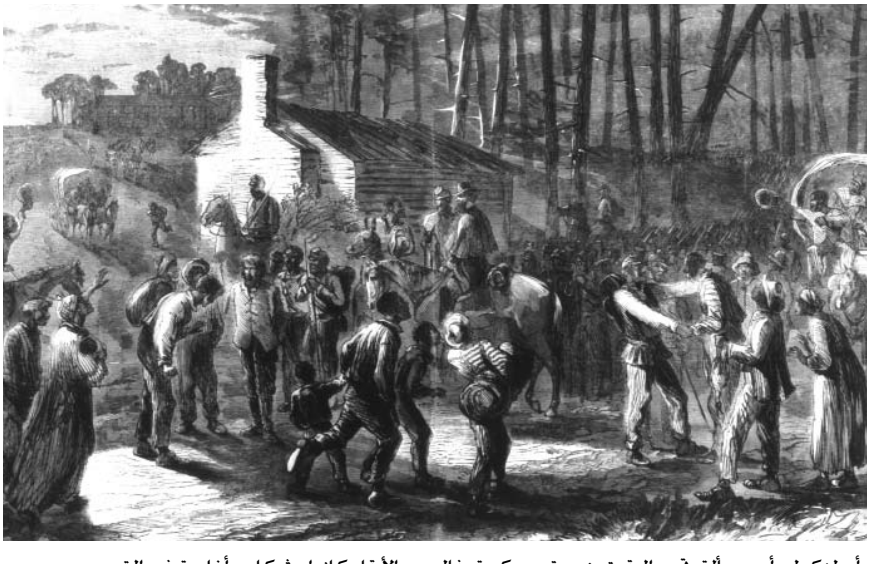

رأى لنكولن أن مسألة تحرير الرقيق ضرورة عسكرية. فالسود الأرقاء كانوا يشكلون أغلبية في القوى الكونفدرالية العاملة واجتذابهم إلى صف قضية الاتحاد يعمل على تقوية المجهود الحربي للشمال.

أرقاء يقرأون إعلان تحريرهم.

أرقاء تجمعوا في مستعمرة باتون روج، في لويزيانا (الى اليسار). وآخرون في حقل لزراعة القطن، مكان عملهم (أعلاه).

أعلاه، الرئيس لنكولن يقرأ نص إعلان تحرير الرقيق لأول مرة أمام أعضاء حكومته. الى اليسار، بعد إعلان تحرير الرقيق، جند جيش الاتحاد جنوداً من السود وأمر بإنزالهم الى ساحة المعركة.

الخصم الكونفدرالي الجنوبي على الحرب. ومع أن أعدادا متزايدة من الشماليين البيض أيّدت إلغاء الرق، فقد عارضه كثيرون من الذين خاضوا الحرب بهدف إنقاذ الاتحاد فقط، لكنهم أدركوا أن تحرير العبيد سيكون عاملا حاسما على أرض المعركة.

الوفاء بالوعد

أصدر لنكولن في 22 أيلول/سبتمبر 1862، ما صار يعرف بالإعلان التمهيدي لتحرير الرقيق. فقد أعلن عن نيته أن يصدر في الأول من كانون الثاني/يناير 1863، أمرا آخر ينص على أن "كل الأشخاص الذين يُحتفظ بهم كأرقاء في أي ولاية أو أي جزء من ولاية، وحيث يكون الناس آنذاك في ثورة ضد الولايات المتحدة، سيصبحون عندئذ ومنذ ذلك الحين فصاعدا وإلى الأبد أحرارا."

وأوفى لنكولن بوعده في مطلع العام الجديد. فقد نص إعلان تحرير الرقيق على أن كل العبيد الذين يعيشون ضمن أراضي الكونفدرالية "هم من الآن فصاعدا سيكونون أحرارا، وعلى الحكومة التنفيذية للولايات المتحدة، بما فيها السلطات العسكرية والبحرية، أن تعترف منذ الآن بحرية الأشخاص المعنيين وتصونها." وأعلن البيان كذلك نية الاتحاد في تجنيد السود

وإنزال الجنود السود إلى ساحة المعركة. كان بوكر ت. واشنطن، الذي أصبح زعيما أميركيا أفريقيا لاحقا، في السابعة من عمره عندما صدر إعلان تحرير الرقيق وقرئ في المزرعة التي كان يعيش فيها. وأعاد واشنطن إلى الذاكرة ذلك الحدث عندما كتب في مذاكراته في العام 1901 تحت عنوان "النهوض من العبودية" قائلا: "مع دنوّ ذلك اليوم العظيم، كانت أصوات الغناء المنبعثة من مساكن الأرقاء ترتفع وتتزايد بشكل لم يكن مألوفا. كان الغناء أعلى وأشد جرأة وأقوى صدى واستمر ردحا من الليل. وتخللت معظم أبيات أغاني المزرعة إشارات إلى الحرية... وألقى رجل بدا لي غريبا (موظف أميركي، على ما أعتقد) كلمة قصيرة ثم قرأ ورقة طويلة، إعلان تحرير الرقيق، على ما أعتقد. قيل لنا بعد قراءة الورقة إننا أصبحنا جميعا أحرارا، وإن بإمكاننا الذهاب إلى أين ومتى نشاء. انحنت أمي التي كانت تقف بجانبي وقبّلت أولادها ودموع الفرح تنهمر على خديها. شرحت لنا ما الذي يعنيه كل ذلك، وأن هذا اليوم هو اليوم الذي ظلت تصلي من أجله طويلا وخشيت أن لا تعيش حتى تراه."

وعلى الصعيد السياسي، ظل لنكولن يدافع عن تحرير الأرقاء من منطلق عسكري. كتب قائلا "ليس في مقدور أي قوة بشرية أن تخمد هذه الثورة دون استخدام أداة تحرير الرقيق كما استخدمتُها." وقال:

"إذا كان لهم (الأميركيين الأفارقة) أن يعرّضوا حياتهم للخطر من أجلنا، فلا بد لهم من أقوى الدوافع كي تحفزهم... وبما أن الوعد قد حصل، فلا بد من الوفاء به... وإلا فلماذا يضحون بحياتهم من أجلنا، مع العلم تماما بنيتنا في خداعهم؟... وسأكون ملعونا على مر الزمان وإلى الأبد إذا أنا فعلت ذلك. فليعلم العالم أنني سأفي بوعدي للصديق والعدو، وليكن ما يكون."

حاول الكاتب المصلح المنادي بإلغاء الرقيق، فريدريك دوغلاس، بعد مضي أكثر من عقد على موت لنكولن أن يوضح علاقة الرئيس الراحل بقضية تحرير الأرقاء. فكتب قائلا إنه بالمقارنة إلى المطالبين بإلغاء الرّق "بدا لنكولن متباطئا متأخرا، باردا، بليدا غير مبال." ولكنه "بقياسه بالنسبة للشعور السائد في بلاده، وهو شعور كان لابد له كرجل دولة من أخذه في الاعتبار" كان لنكولن "سريعا، متحمسا، متطرفا، وعازما بتصميم." ولعله ما من رجل دولة يستطيع تحقيق أكثر مما أنجز لنكولن.

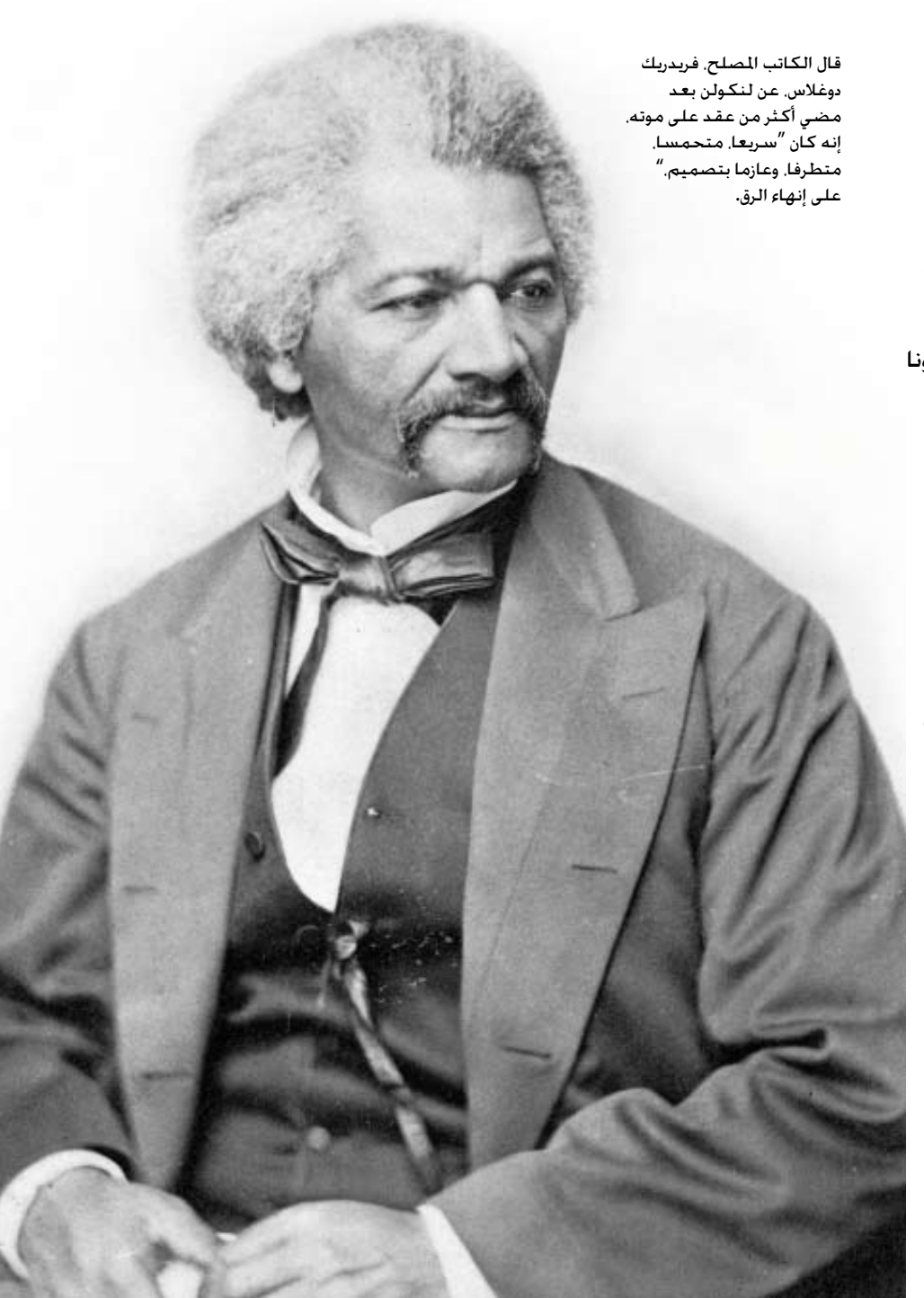

قال الكاتب المصلح، فريدريك دوغلاس، عن لنكولن بعد مضي أكثر من عقد على موته، إنه كان "سريعا، متحمسا، متطرفا، وعازما بتصميم،" على إنهاء الرق.

كلمات حرّكت أمّة

بقلم رونالد سي وايت

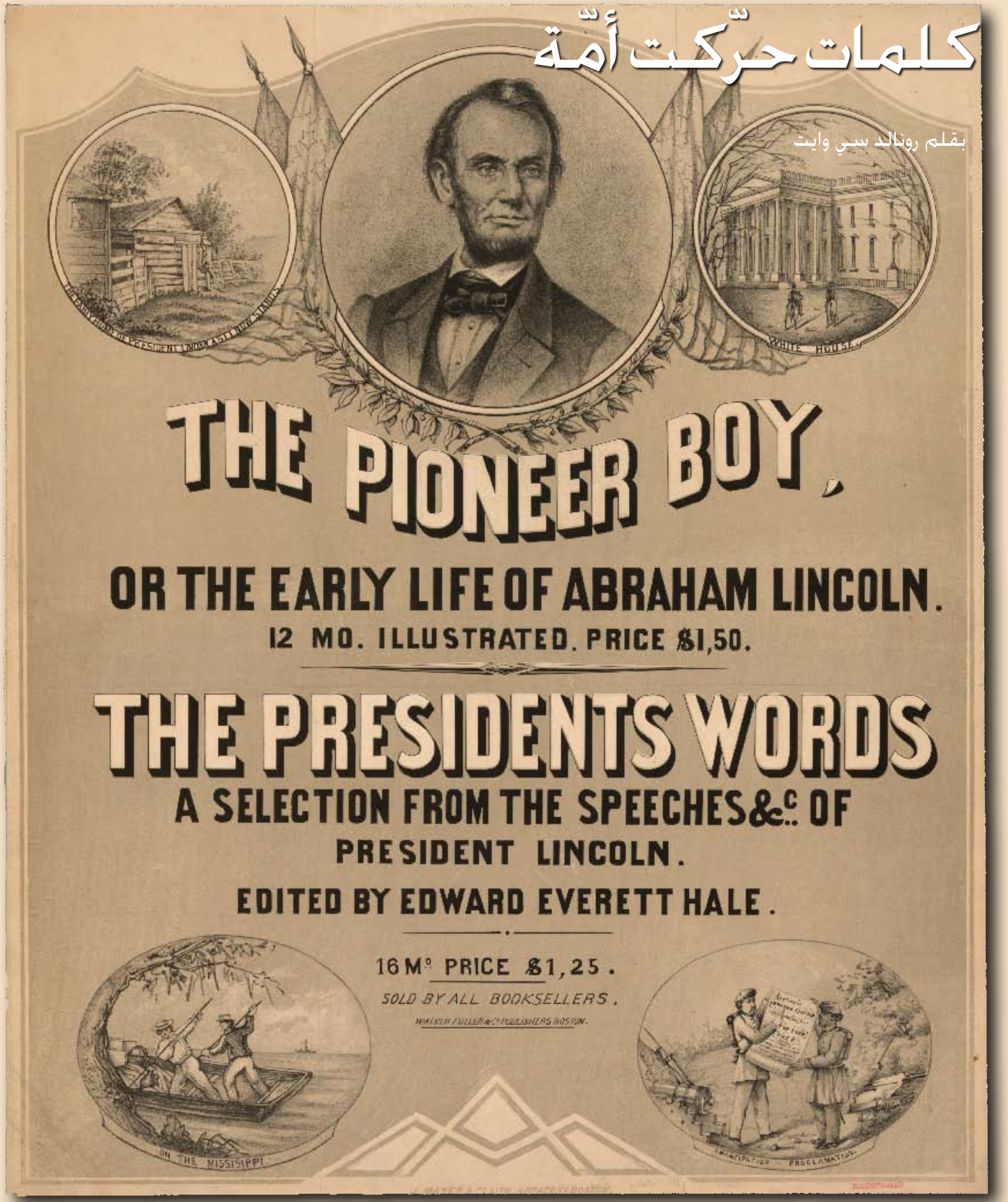

ملصق إعلاني لكتاب ضم مجموعة الخطب التي ألقاها لنكولن. يظهر كيف انطلق الرئيس لنكولن من جذور وضيعة الى شخصية متجذرة في قلوب الاميركيين.

يأتي الناس من مختلف أرجاء العالم ويزورن نصب لنكولن التذكاري في العاصمة الأميركية واشنطن. يقف الزوار في رهبة وإجلال وهم يقرأون كلمات ابراهام لنكولن البليغة في خطابه في غتيسبيرغ، بولاية بنسلفانيا، وفي خطاب تنصيبه رئيسا للمرة الثانية.

الرئيس الأسبق لنكولن، الذي كان مفتتنا بسحر الكلمات وجرس سماعها، كان يصوغ كلماته ليكون لها وقع على الأذن. كان يهمس كلماته أو يرددها بصوت خطابي عال قبل أن يخطّها على الورق. ويعمد من ثم إلى إلقاء خطاباته بأسلوبه المتمهل المتروّي في قراءة ما كتب.
والآن فلنمعن الدرس في ثلاثة من خطبه التي ألقاها وهو في سدة الرئاسة الأميريكة بين سنتي 1861 و1865. جمهور القراء، أنتم مدعوون إلى قراءتها بصوت عال كي يتسنى لكم الاندماج واستيعاب بنى ومعاني الكلمات التي حرّكت أمّة.

خطاب التنصيب الرئاسي الأول (1861)

أشرق يوم 4 آذار/مارس للعام 1861 باردا عاصفا. وأقبل جمهور من 25,000 شخص مبكرا على مبنى مقر الكونغرس وكل منهم آمل في أن يجد له مكانا يستطيع منه سماع أبراهام لنكولن يلقي خطاب تنصيبه. فلم يسبق أن نُصّب رئيس أميركي من قبل في مثل ذلك الوقت العصيب المضطرب. وكان انتخاب لنكولن قد أثار بشكل جدّي إمكانية انشقاق الجنوب عن الاتحاد. فيما سرت شائعات بسرعة سريان النار في الهشيم في العاصمة الأميركية تقول بوجود أخطار تهدد حياة لنكولن.
سعى لنكولن في خطابه إلى أن يوازن بين نبرتي المصالحة والقوة. فبعد أن خطب

حفل تنصيب لنكولن رئيساً للبلاد، لأول فترة في آذار/مارس، 1861.

”لا يمكنك بناء خلق شخصي وشجاعة في رجل، إذا أنت سلبته مبادرته الشخصية واستقلاله.“

مبنى الكابيتول، كما بدا في عهد رئاسة أبراهام لنكولن.

نحو ثلاثين دقيقة، بلغ الرئيس الفقرة الختامية في خطابه. وكانت مسوّدات الخطاب الأولية قد اختتمت بالسؤال: "هل سيكون السلام أم السيف؟" إلا أن وزير الخارجية وليام سيوارد حث لنكولن على أن يستبدل السؤال بخاتمة تحمل "بعضا من كلمات العاطفة والمودّة – بعض التهدئة والثقة المتفائلة." وبالمقارنة يتبين كيف أن لنكولن حوّل كلمات سيوارد وصاغها بأسلوبه الخاص إلى شعر منثور رائع.

سيوارد: أنا انتهيت

لنكولن: أنا أكره أن أنتهي.

سيوارد: نحن لسنا، وينبغي أن لا نكون غرباء، أو أعداء، بل أبناء وطن واحد وإخاء.

لنكولن: لسنا أعداء، بل أصدقاء، يجب أن لا نكون أعداء. سيوارد: مع أن انفعالاتنا (الغاضبة) أرهقت كثيرا روابط مودتنا، لا ينبغي لها، وأنا واثق أنها لن تنقطع.

لنكولن: رغم أن الانفعال ربما وتّر روابط مودّتنا، يجب أن لا يقطعها.

سيوارد: تلك الأوتار الغامضة الخفية، ممتدة من ميادين المعارك العديدة، من قبور الوطنيين الكثيرة، تمس شغاف كل القلوب، وتتردد أصداؤها في كل المدافئ في قارتنا هذه الشاسعة، ستنسجم من جديد، متآلفة في موسيقاها القديمة، حينما ينفث فيها أنفاسه الملاك حارس الأمّة.

لنكولن: تلك الأوتار خيوط الذاكرة، ممتدة من كل ميدان من ميادين المعركة، ومن كل قبر من قبور الوطنيين إلى كل قلب ينبض بالحياة، وإلى كل حجر فوق مدفأة، في كل أرجاء هذه الأرض الواسعة، ستضخم صوت جوقة الاتحاد وتزيد، عندما تُمس من جديد، تماما مثل ما ستكون، بفعل ما في طبيعتنا من أفضل الملائكة.

يلاحظ من النص الأصلي الإنجليزي أن لنكولن هذّب بعض الكلمات الدخيلة أو المتصلبة أو استبدلها بغيرها وركّب كلماته أو جمله بحيث ينسجم إيقاعها ونغمة جرسها. كما استخدم الجناس مستعينا بالحروف الساكنة ذاتها وأصوات لفظ الحروف ذاتها في أكثر من خمسة مواقع في آخر جملتين له كي يدفع المستمع إلى الربط وإقامة الصلة بينها.

كذلك استخدم لنكولن صورا قوية مؤثرة لتذكير الأمة بماضيها معلنا من خلالها رؤياه السياسية بالنسبة للمستقبل.

خطاب غتيسبيرغ (1863)

خاضت قوات الاتحاد والقوات الفدرالية بين 1 و3 تموز/يوليو 1863 معركة كبرى في بلدة غتيسبيرغ الصغيرة من ولاية بنسلفانيا. وخلّفت معارك الأيام الثلاثة نحو 50,000 شخص بين قتيل وجريح ومفقود في بساتين الخوخ ومراعي المزارع. وفي يوم 19 تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه أحتشد جمهور من نحو 15,000 شخص في غتيسبيرغ لتدشين أول مقبرة عسكرية وطنية للبلاد. وقد دعي للمناسبة الرئيس السابق لجامعة هارفرد إدوارد إيفريت كي يكون الخطيب الرئيسي في الحدث. غير أنه طُلب من الرئيس لنكولن في آخر لحظة أن يقول "كلمات قليلة مناسبة." وبعد أن أتم إيفريت كلمته التي استغرقت ساعتين وسبع دقائق، خاطب لنكولن الحضور بكلمة دامت دقيقتين ونصف الدقة، ولم يزد محتواها عن 272 كلمة. قال:

الرئيس لينكولن لدى وصوله الى مدينة غتيسبيرغ في بنسلفانيا، لتدشين أول مقبرة عسكرية وطنية للبلاد، على أرض لقي فيها ثمانية آلاف أميركي حتفهم في معركة دامت ثلاثة أيام.

"قبل أربع عشرينات وسبع سنين خلت أنشأ آباؤنا على هذه القارة أمة جديدة: ولدت في الحرية ومكرّسة على فرض أن كل الناس خلقوا متساوين."

عبارة "أربع عشرينات وسبع سنين" لم تكن صيغة سهلة للتعبير عن مرور سبع وثمانين سنة. وبقوله هذا كأنما أردا لنكولن أن يعود جمهوره بحسابه إلى الوراء كي يكتشف أن الولايات المتحدة لم تنشأ بالدستور الذي أعلن قيام الولايات المتحدة في العام 1787، ولكنها قامت في العام 1776 بتوقيع وثيقة إعلان الاستقلال، وهي إعلان الحقائق العامة الثابتة التي آمن بها المؤسسون. واختار لنكولن كلماته وهو واثق من أن الأميركيين المطلعين دينيا والعالمين بالكتاب المقدس سيربطون بين عبارة "أربع عشرينات" وبين المزمور 90 الذي يستعرض فيه رجل محتضر ماضي حياته ويأمل أن يكون للفترة القصيرة التي أمضاها في هذا العالم معنى ومغزى، إذ يقول:

إن أيام سنواتنا هي ثلاث عشرينات وعشر سنين، أما إذا كانت بسبب القوة فستكون أربع عشرينات من السنين. بنى لنكولن خطابه في غتيسبيرغ على هيكل من أزمان الماضي والحاضر والمستقبل. بدأ بالماضي بوضعه تدشين ميدان المعركة في إطار الرواية الأكبر من التاريخ الأميركي. فبقوله "آباؤنا" استحضر لنكولن تراثا مشتركا بين الشمال والجنوب وهو تراث الآباء المؤسسين.

وختم لنكولن جملته الأولى بإشارة أخرى إلى إعلان الاستقلال وهي: حقيقة أن "كل الناس خلقوا متساوين." وحدد لنكولن بتشديده على هذه الحقيقة الحرب الأهلية وكأنها خصام للتنافس على ضمان الحرية – للأرقاء- ولصيانة وحدة الأمة. وقال:

"نحن نخوض الآن حربا أهلية كبرى لاختبار ما إذا كانت الأمة، أو أي أمة نشأت كذلك، وتكرست بهذا الشكل، تستطيع أن تتحملها طويلا. وها نحن نلتقي على أرض ميدان معركة كبرى من تلك الحرب. لقد أتينا لندشن جزءا من ذلك الميدان كمثوى أخير لاستراحة أولئك الذين بذلوا حياتهم ها هنا كي تحيى هذه الأمة."

انتقل لنكولن بجمهوره سريعا، بعد جملته الافتتاحية الطويلة، إلى الأمام من ماضي الثورة الأميركية إلى حاضر الحرب الأهلية. وفي لمحة خاطفة لخّص معنى الحرب ومغزاها. فعلى النقيض من إيفريت، لم يفرّط لنكولن بكلماته ويخصصها لوصف تفاصيل المعركة الأخيرة، بل تجاوز التفاصيل وربط التكريس باستخدام أوسع لاستخدام الكلمات خمس مرات في خطابه. من بين ذلك قوله أن الحرب الأهلية كانت "اختبارا" لمُثل مؤسسي البلاد، وحربا تقرر ما إذا كان يمكن "تحملها." وقال:

"إن هذا بكل ما في الكلمة من معنى لائق ومناسب أن نفعله. ولكننا بالمعنى الأعمق لا نستطيع نحن أن ندشن – لا نستطيع نحن أن نكرس – ولا نستطيع نحن أن نقدّس

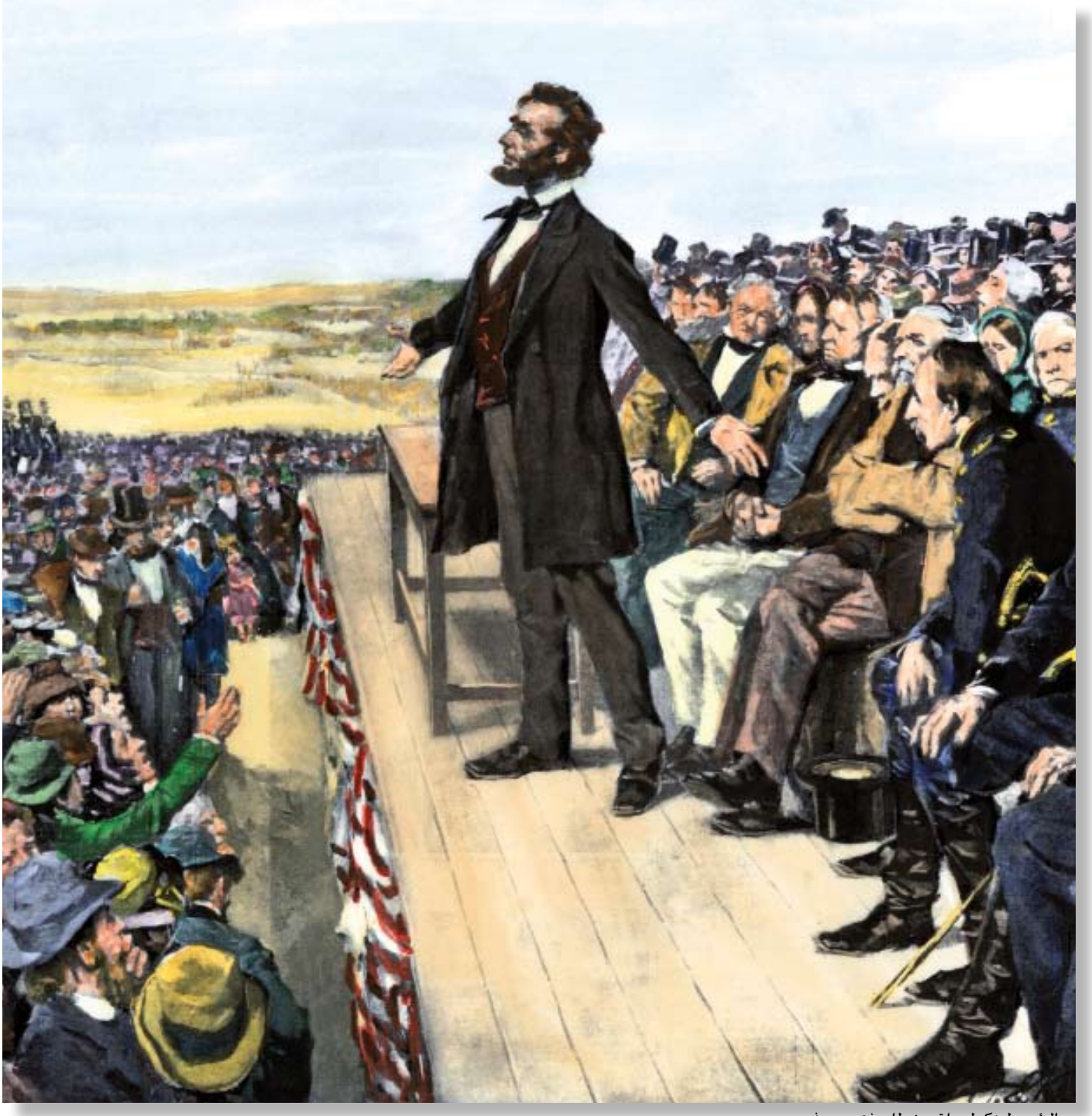

الرئيس لينكولن يلقي خطاب غتيسبيرغ.

هذه الأرض. فالشجعان، الأحياء منهم والأموات، ممن حاربوا هنا كرّسوها أسمى كثيرا مما تستطيع سلطتنا الضعيفة من زيادة أو نقصان."

كانت هذه الكلمات مؤشرا على انتقال لنكولن من الأحداث التي جرت على أرض المعركة إلى أحداث المستقبل. ولكنه قبل أن يحول أنظار جمهوره عن ساحة المعركة نبّه الناس إلى ما لا يستطيعون فعله بقوله:

لا نستطيع نحن أن ندشّن

لا نستطيع نحن أن نكرس

لا نستطيع نحن أن نقدّس.

وختم لنكولن في جمله الثلاث الأخيرة لآخر مرة. قال:

"لن يلاحظ العالم إلا قليلا، ولن يتذكر طويلا ما نقول هنا، لكنه لن يستطيع نسيان ما فعلوا هنا. والأصح، هو أننا نحن الأحياء الذين ينبغي أن يكرَّسوا هنا لإتمام العمل الذي لم ينجز، الذي حاربوا من أجله وعملوا بشرف على تقدمه إلى هذا الحد. فحريّ بنا إذن أن يتم تكريسنا هنا للمهمة العظمى الماثلة أمامنا – وهي أن نستزيد من تفاني هؤلاء الأموات المكرّمين من أجل تحقيق الهدف الذي بذلوا في سبيله آخر كل ما في طاقتهم من تفان – وأن نصمم هنا بعزم على أن هؤلاء الموتى لم

يموتوا عبثا – وأن هذه الأمة، برعاية الله سيكون لها ميلاد جديد للحرية – وأن حكومة الشعب وبالشعب وللشعب لن تزول عن وجه الأرض."

عرض لنكولن في هذا رؤياه بالنسبة للمستقبل ومسؤولية مستمعيه – وبالتالي مسؤولية كل فرد أميركي- في تحقيق تلك الرؤيا. وانتقل لنكولن بجمهوره من الأقوال إلى الأفعال حين قارن في قوله "ما نقوله هنا" مع "ما فعلوا هنا."

وهنا عند هذه النقطة في جملته الأخيرة نطق لنكولن إضافته الوحيدة إلى النص المكتوب. فقد أضاف كلمتي "برعاية الله." وهي مراجعة آنية غير معتادة من خطيب لم يكن يثق بالخطابة المرتجلة. ومع ذلك فقد أضاف لنكولن كلمات مرتجلة في عدد من خطبه السابقة، ولكنه كان يعتذر لاحقا عن التغيير. ولكنه لم يفعل في هذه الحالة.

وقد تضمنت النسخ الثلاث كلها لخطاب لنكولن التي أعدت في ما بعد كلمتي "برعاية الله."

وجاءت كلمتا "برعاية الله" في موقع أشارتا فيه الى الوراء الماضي وإلى الأمام المستقبل. فإلى الوراء أشارتا إلى "هذه الأمة" التي استمدت حياتها من منابع سياسية ودينية، وفي الوقت نفسه إلى "ميلاد جديد." وقد توصل لنكولن إلى تكوين نظرة عن الحرب الأهلية التي رآها وكأنها طقس من طقوس التطهر والنقاء، إذا كان لا بد من الاتحاد القديم أن يفنى. فقد حان للشيخ المسن أن يموت. فالموت أصبح مرحلة انتقالية إلى اتحاد جديد وإنسانية جديدة.

وعندما بلغ لنكولن ذروة خطابه الذي جاء على قِصر غير متوقع نطق الكلمات التي ستبقى ماثلة في الذاكرة وهي:

"أن حكومة الشعب
بالشعب
وللشعب
لن تزول عن وجه الأرض."

لكن لنكولن انتهى من خطابه. وهو لم يذكر كلمة "أنا" ولو لمرة واحدة. كان كما لو أنه ودّ أن يختفي ليتيح المجال أمام الأميركيين كي يحصروا همّهم دون حاجز أو عائق في الحقائق السامية التي طرحها.

خطاب التنصيب الرئاسي الثاني (1865)

كانت للرئيس أبراهام لنكولن كل الأسباب التي تحمله على التفاؤل مع اقتراب موعد تنصيبه في يوم 4 آذار/مارس 1865. فبعد أربع سنوات من الحرب الأهلية كانت الكونفدرالية قد تشرذمت، إن لم تكن قد تحطمت. ومع ذلك فقد كان التخوف قد تسلل إلى النفوس وشابت الخشية روحه المتفائلة. فقد سرت شائعات في العاصمة مفادها أن الكونفدراليين اليائسين نتيجة إدراكهم أن الهزيمة باتت وشيكة، قد يحاولون خطف الرئيس أو اغتياله.

مشهد لمسيرة شعبية سبقت خطاب غتيسبيرغ. لم يلق خطاب لنكولن آنذاك ترحيباً يذكر، إلا أن تعريفه لمعنى الحرب الأهلية على أنها اختبار لولادة جديدة للحرية، لقي فهماً وتقديراً من الجميع في ما بعد.

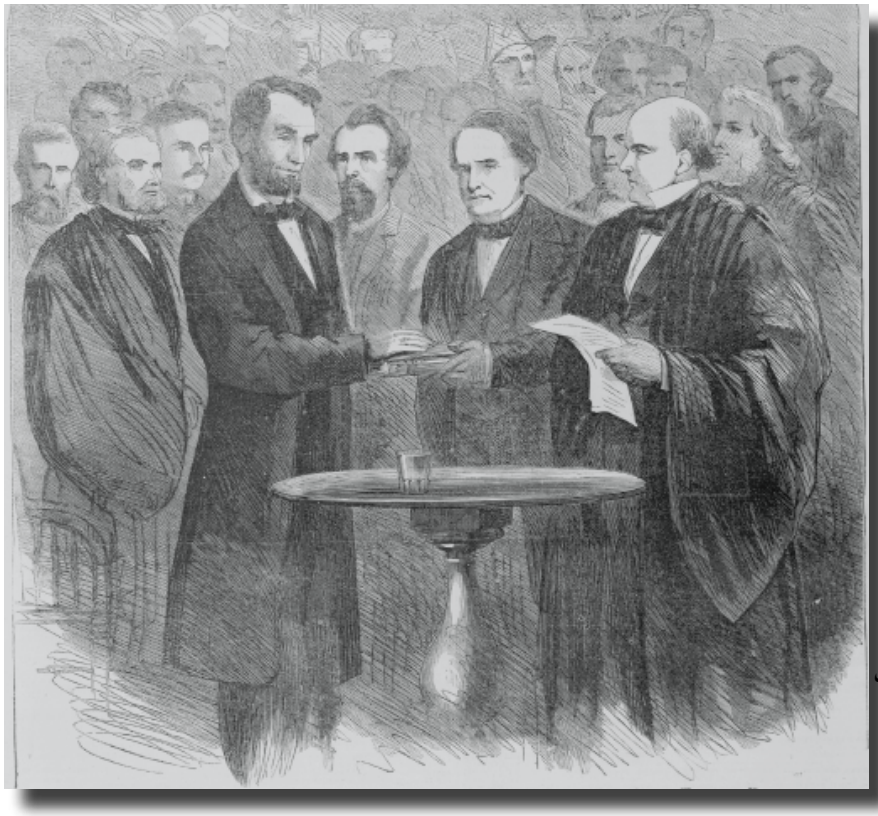

لنكولن يؤدي اليمين الدستورية لتولي رئاسة البلاد في آذار/مارس، 1861.

تألف خطاب لنكولن في احتفال تنصيبه الثاني من 701 كلمة منها 505 كلمات في مقطع صوتي واحد. بدأ لنكولن بإلقاء خطابه بنبرة مكبوتة. وبدا في ذلك الجو المشحون بالتوتر الشديد في واشنطن بسبب الحرب وانتشار الجند في كل مكان، وكأنه يريد تخفيف التوقعات والتكهنات.

ففي الفقرة الثانية من الخطاب استخدم لنكولن صورة الحرب في كل جملة من جملها. ويتزايد التوتر في الفقرة كلها متصاعدا شيئا فشيئا حتى الجملة الأخيرة منها حيث يقول "وجاءت الحرب." وبهذه العبارة المقتضبة اعترف لنكولن بأن الحرب نشبت رغم أفضل النوايا عند القادة السياسيين. أراد لنكولن لمستمعيه أن يفهموا أنه لا يمكن استيعاب هذه الحرب على أنها تنفيذ لمخططات بشرية.

قال: "الطرفان يتلوان الإنجيل ذاته ويصليان للرب نفسه." وجاء حشر الإنجيل بمثابة أسلوب جديد. فلم يسبق وأن أشير إلى الإنجيل أو استشهد به سوى مرة واحدة في الـ 18 تنصيبا التي سبقت. وأظهر لنكولن من هذا المنطلق أنه ينوي أن يتناول الحرب من المنظورين اللاهوتي والسياسي.

فبعد إشارته إلى أن الجنود في الطرفين الاتحادي والكونفدرالي يقرأون الإنجيل نفسه ويؤدون الصلوات ذاتها، تطرق إلى الحديث عن الاستخدام اللائق للكتاب المقدس. فأوحى بأن البعض يستخدم الإنجيل والصلوات وكأنهما سلاح ينال به حظوة من عند الله يتفوق بها جانب على الآخر. لكنه تبين أنه نجمت عن هذا قراءتان مختلفتان للكتاب الواحد. ففي أحد الجانبين وقف أولئك الذين قرأوا إنجيلا آمنوا بثبات وعناد أنه سمح بالرّق والاستعباد. وفي الجانب الآخر كان أولئك الذي فهموا منه أنه حضّ على إلغاء الرق. إذ قال "قرأ الجانبان الإنجيل نفسه وصليا لنفس الإله. وكلاهما يرجو عونه ضد الآخر." لكن لنكولن هدف إلى تصوير إله واحد شامل للجميع لا ينحاز إلى جانب أو يحابي جماعة معينة أو طرفا بذاته.

وإذ يقترب الخطاب من فقرته الأخيرة يتخذ منعطفا غير متوقع. ففي حين توقع الكثيرون من لنكولن أن يشيد بالنجاحات التي حققها الاتحاد، تطرق بشجاعة وجرأة إلى الداء الذي قال إنه أصاب صميم الأسرة القومية الأميركية نتيجة إذعان الكثيرين من الأميركيين ورضوخهم. وإذا شاء الله أن ينهي الرق "فهذه الحرب الرهيبة" تبدو وكأنها "الويل الذي استحقه أولئك الذين كانوا السبب في شنها."

لقد آمن لنكولن بأنه أينما كان شر، لا بد وأن الحساب والعقاب آتيان سريعا. ورأى لنكولن في مقتل 623,000 من الجنود الاتحاديين والكونفدراليين قضاء عقابيا قبله وتحمّله. قال:
"بحنان نأمل، وبحرارة نصلي كي تزول بلوى الحرب الشديدة هذه عنا سريعا. ثم إذا شاء لها الله أن تستمر ... حتى يسدد ثمن كل قطرة دم يريقها الجَلد (بالسياط) بقطرة أخرى يريقها السيف، فكما قيل قبل ثلاثة آلاف سنة، ما زال يجب القول إن "قضاء الرب وأحكامه صادقة وكلها صحيحة."

دعا لنكولن أبناء وطنه إلى أن يقيسوا تاريخهم بمعايير العدالة وموازينها. فعل هذا وهو مدرك أنه ما من أمة تواجه عن طيب خاطر سوء أفعالها. قال:

دون ضغينة تجاه أي أحد، وبمحبة للجميع..

"بدون ضغينة تجاه أحد. ومودة للجميع." جرى تنصيب لنكولن لفترة رئاسية ثانية سنة 1865.

وختم لنكولن خطابه بدعوة البلاد إلى بداية عهد جديد متسلحة بالعفو والسماح لا بالعداوة والبغضاء. فكان أن أصبحت تلك الكلمات أكثر ما انغرس في الذاكرة من التعابير التي تضمنها خطاب تنصيب لنكولن الثاني. فكان الرئيس، الذي كان مدركا تماما أن البلاد كانت على وشك الانتهاء من أشد الصراعات المسلحة تدميرا وحرضت الأخ على أخيه، على وشك أن يطالب الأميركيين بفعل من التعاطف الشفوق الذي لا يصدق. كان سيدعوهم إلى تجاوز حدود الانقسام والتغلب عليها والعودة إلى المصالحة والوفاق من جديد.

فقد أنهى لنكولن خطاب تنصيبه الثاني بمقطع ختامي شاف دعا فيه إلى:
التكاتف..
والعناية..
وبذل كل ما يمكن أن يحقق وينعش سلاما دائما بين ظهرانينا ومع كل الأمم.
ووصف لنكولن الفوز بتحقيق السلام بأنه تحقيق المصالحة والوفاق. إذ أعلن في هذه الفقرة الأخيرة من الخطاب أن الاختبار الحقيقي لأهداف الحرب يكمن في معاملة الأميركيين للمهزومين.

يبدو المثل الحديث القائل "إنه كلام في كلام فقط" أحيانا وكأنه صادق. وهذه الصورة التي عرضت هنا للنكولن تدل على العكس. فهي قائمة على أساس الافتراض أن الكلام له أهمية. فقد قاد لنكولن أميركا خلال الحرب الأهلية بكلام شد من أزر شعبه وعزز شجاعة أمته.

لنكولن الدبلوماسي

بقلم هوارد جونز

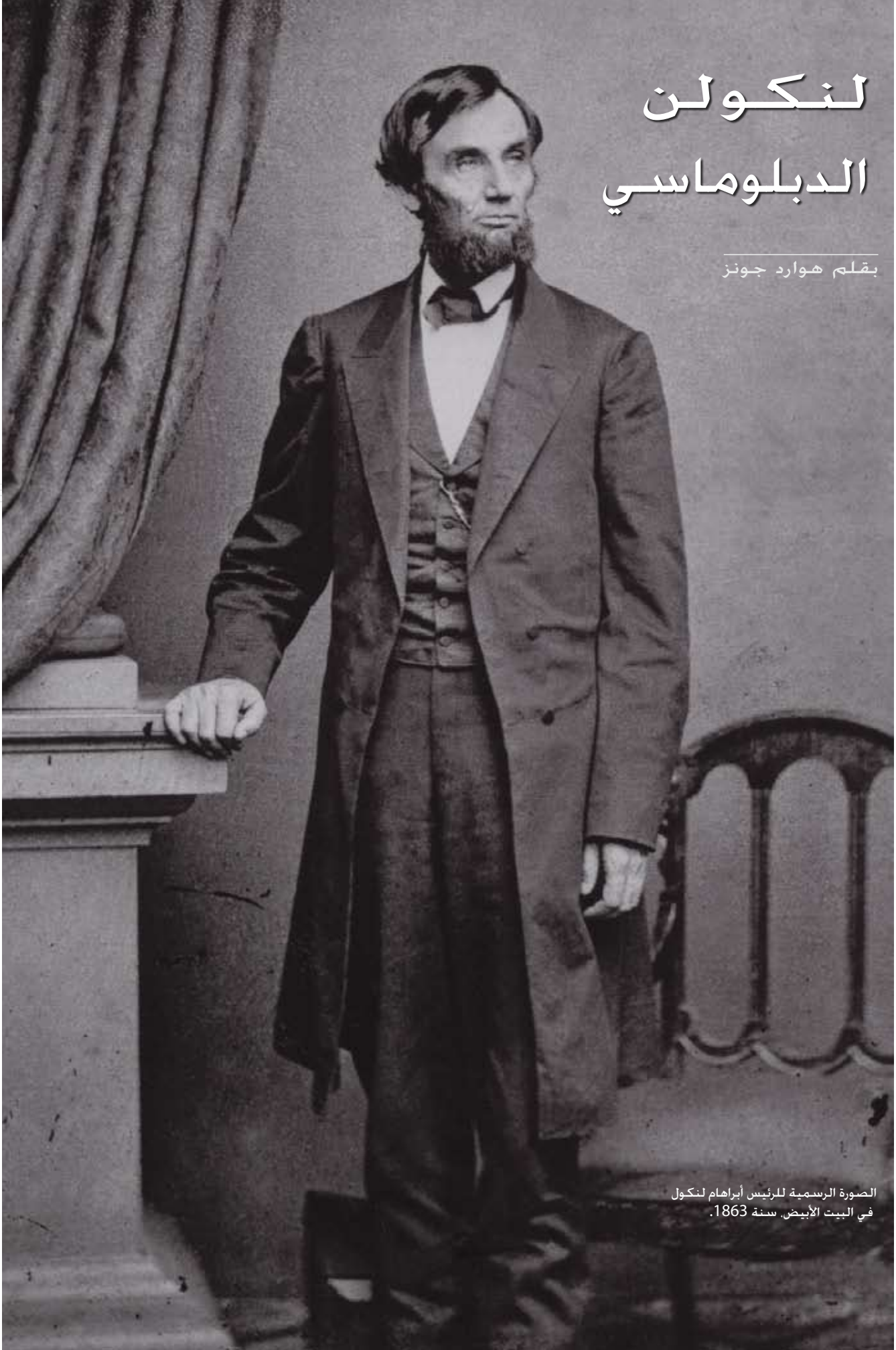

الصورة الرسمية للرئيس أبراهام لنكول في البيت الأبيض، سنة 1863.

الرئيس أبراهام لنكولن كدبلوماسي؟ لا غرابة في التساؤل ولنكولن كدبلوماسي لا يكاد يكون موضوعا يلقى من الاهتمام الكافي بحيث يحتل مكانة في رأس قائمة المواضيع التي تتناول بالبحث والدرس رئاسة الرجل الذي شهد حكمه سنوات الحرب الأهلية الأميركية كلها.

فسعيه في البحث عن قادة عسكريين أكفاء وحرصه على تحقيق النصر في ساحة المعركة، وتجاربه الخاصة، والصعوبات التي واجهته نتيجة الصراع والتنافس بين أعوانه ومستشاريه على مراكز النفوذ وهو صراع طال الرئيس نفسه، هي المواضيع التي تستأثر بمعظم الاهتمام عندما يدعو الداعي إلى دراسة تاريخ أمة انقسمت وخاضت حربا على نفسها من العام 1861 حتى العام 1865.

لكن، مع أن لنكولن أعلن عندما شن الحرب أنه إنما يخوضها للحفاظ على وحدة الاتحاد الأميركي وصيانته، فقد قبل بالضرورة مواجهة المشاكل والتحديات التي تنشأ في الخارج أو تأتي من خارج حدود البلاد. فلو حازت الثورة في الجنوب على اعتراف دبلوماسي من إنجلترا وغيرها من الدول الأوروبية، وخاصة خلال الشهور الثمانية عشر الأولى الحاسمة من الحرب، لكان من المحتمل أن تفوز الولايات الكونفدرالية الأميركية باستقلالها. غير أن قيادة لنكولن لهذه الجبهة الدبلوماسية أثبتت أهميتها بقدر مساو من الأهمية لقيادته القوات المسلحة لضمان تحقيق النصر للاتحاد في نهاية المطاف.

كان لنكولن الدبلوماسي النموذجي الأصلي. فهو رغم إقراره بأنه لم يعلم إلا ما قل، أو لا يعلم شيئا بالمرة، من الشؤون الخارجية، فقد امتلك الخصائص والميزات العامة التي تميز أفضل رجال الدولة، وهي التواضع والاستقامة والحكمة المقرونة بالمنطق المعقول، والتصرف الهادئ في أصعب الأحوال، والاستعداد للتعلّم. وهو تحلّى، علاوة على ذلك، بالجرأة على تعيين مستشاريه من أشخاص ذوي مكانة ونفوذ. فوزير خارجيته وليام هـ. سيوارد من أشد منافسين لنكولن السياسيين

> "أولئك الذين يحرمون غيرهم الحرية، يستحقون هم حرمانهم منها، ولن يستطيعوا الاحتفاظ بها طويلا، تحت حكم رب عادل."

حفل استقبال للدبلوماسيين في البيت الأبيض، سنة 1865، من مقتنيات مكتبة الكونغرس.

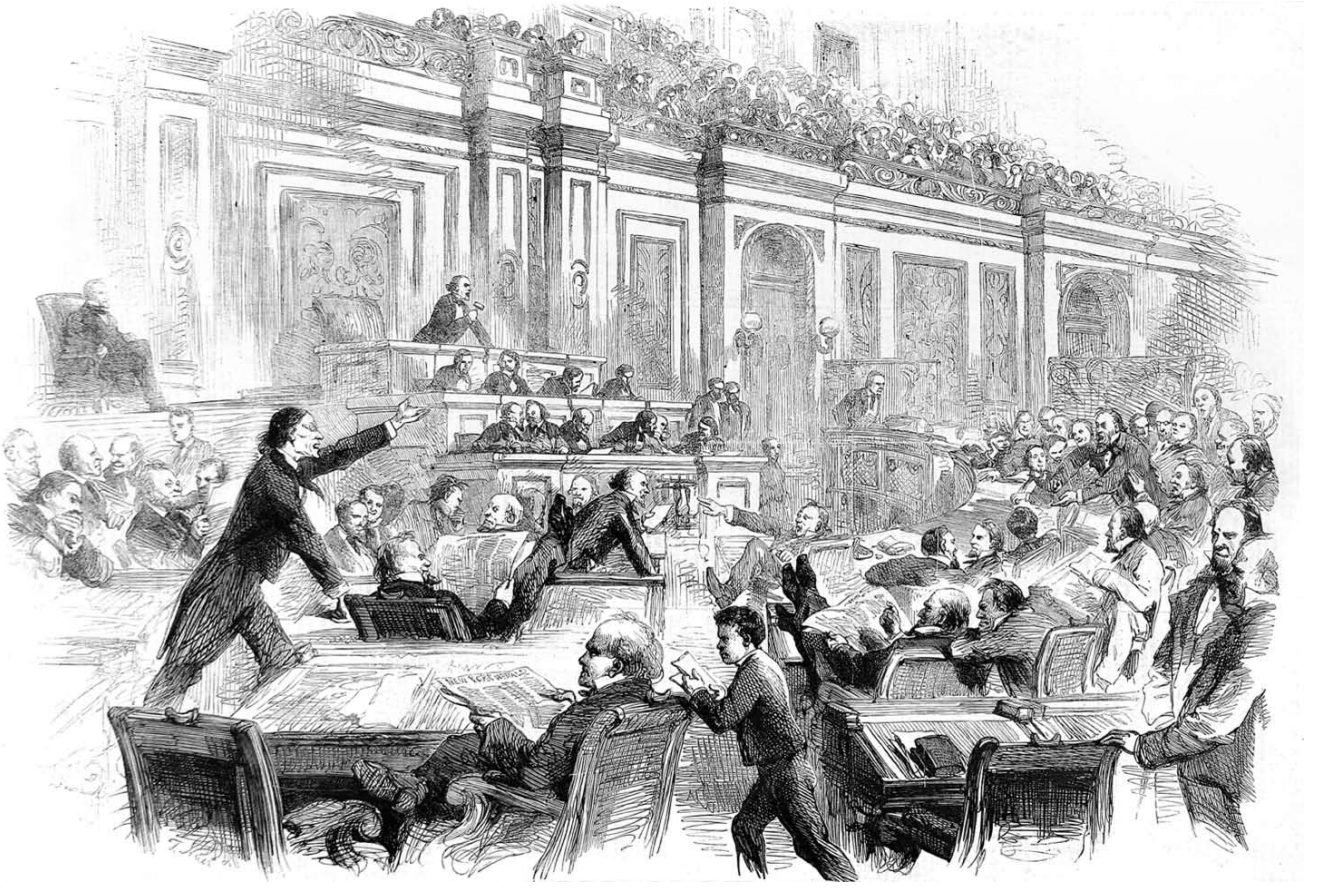

لوحة لمجلس النواب الأميركي سنة 1861، في جلسة محتدمة النقاش على خلفية أزمة الانفصال

قبل ذلك، لكن الأهم هو أن سيوارد كان من العارفين العالمين بالشؤون الخارجية. صحيح أن علاقتهما لم تبدأ بداية مريحة لأن سيوارد تصوّر نفسه رئيسا للوزراء أو أنه رئيس للحكومة ولنكولن مجرد رئيس رمزي، هذا إذا لم يكن مهرجا. غير أن سيوراد عندما تسرّع باقتراح طائش بتوحيد الشمال والجنوب بالتحريض على إشعال حرب ضد قوى خارجية، ما كان من لنكولن إلا أن وأد اقتراحه وقضى على الفكرة بهدوء وأكد سلطته وسيطرته، وسرعان ما حاز على احترام وزيره وإعجابه.

تجنب حرب على جبهتين

وضعت الحرب التي اندلعت في نيسان/أبريل من العام 1861 الرئيس الجديد لنكولن أمام أول أزمة له في العلاقات الخارجية. فالحرب، لم تكن من وجهة نظر الاتحاد (الشمال) حربا بين دول ولكنها كانت صراعا ضد حركة تمرد داخلية يجب إخمادها دون أي تدخل من دول أخرى. لكن قرار لنكولن القاضي بحصار الموانئ الجنوبية سمح لبريطانيا وفرنسا، اللتين كانتا تؤملان في استمرار تعاملهما التجاري مع الكونفدراليين (الجنوب)، أن تأخذا علما بموجب القانون الدولي بأن هناك حالة حرب قائمة تستدعي إعلان الحياد في تلك الحرب واعتبار الكونفدرالية طرفا معتديا. أضفت هذه الخطوات مجتمعة نوعا من المشروعية على الجنوب ولكنها لم تصل إلى حد اعتبارها اعترافا رسميا بالجنوب الكونفدرالي كدولة.

من هنا انطلقت دبلوماسية لنكولن في العمل على الحيلولة دون اعتراف القوى الخارجية باستقلال الجنوب. ثم استمر في معارضته لأي مشاركة أو تدخل خارجيين، سواء أكان ذلك من دولة تعرض مساعيها الحميدة أو تسعى في سبيل تحقيق السلام عن طريق الوساطة أو التحكيم أو الهدنة. ثم عمل لنكولن على تخفيف وقع إنذارات وزير الخارجية سيوارد من أن الولايات المتحدة مستعدة لخوض حرب ضد أي دولة تتدخل (لكنه لم يتنصل منها أبدا). كذلك لطّف لنكولن رسائل الوزير سيوارد واعتمد على وزيره المفوض إلى إنجلترا تشارلز فرانسيس آدمز، الذي تمتع بالسلوك المعتدل ولكن الصارم، في تهدئة الأمور وحل المشاكل الأخرى.

السفينة الأميركية يو إس إس سان جاسينتو تلاحق سفينة ترينت ناقلة بريد بريطانية، وقد تسبب احتجاز موظفين تابعين للحكومة الكونفدرالية الأميركية من على متن السفينة البريطانية ترينت بأزمة دبلوماسية بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى.

الموظفان التابعان للحكومة الفدرالية الأميركية جيمس ميسون وجون سلايديل لدى إخراجهما من سفينة ترينت. وقد أمر الرئيس لنكولن بإخلاء سبيلهما لتفادي تفاقم الأزمة وإنقاذ العلاقات مع بريطانيا. ما كان قد يؤدي الى دخول بريطانيا الحرب. وانضمامها الى صفوف الكونفدراليين.

عادت مشكلة الاعتراف إلى الظهور والاشتعال مرارا خلال مجرى الحرب الأهلية. وقد أقنعت الإهانة الحربية التي لحقت بالاتحاد في معركة "بُل رَن" في تموز/يوليو 1861 بعض الأوروبيين بأن استقلال الكونفدرالية أصبح قضية مسلّما بها. إذ سيستطيع الاتحاد أن يفرض المصالحة على 11 ولاية تضم ملايين السكان؟ وفي تشرين الثاني/نوفمبر اعترضت سفينة من البحرية الأميركية سفينة البريد البريطانية "ترينت" وقبضت بشكل غير قانوني على مفوّضين جنوبيين هما جيمس ميسون وجون سلايدل اللذين تمكنا من الإفلات من الحصار الاتحادي وكانا في طريقهما إلى إنجلترا. غير أن لنكولن تصرف بحكمة وأمر بإطلاق سراح الأسيرين معترفا بلباقة غير ملزمة بوقوع خطأ أنقذ ماء وجه أميركا وتفادى ما كاد يصبح حربا على جبهتين بزج الاتحاد في حرب ضد بريطانيا إضافة إلى حربه مع الجنوب.

تدبير ضروري للحرب

من الأدوات التي استخدمها لنكولن في جهده لمنع الاعتراف الدبلوماسي بكونفدرالية الجنوب كانت مشاعر الأوروبيين ضد الرّق. فبعد الانتصار الذي حققه الاتحاد بشق الأنفس في أنتيتام في خريف العام 1862 استخدم لنكولن صلاحياته كقائد أعلى للقوات المسلحة ليعلن أنه اعتبارا من اليوم الأول من كانون الثاني/يناير 1863 سيصبح الأرقاء الذين يكونون ما زالوا مستعبدين في الولايات التي تظل متمردة أحرارا. ووصف لنكولن هذا الإعلان المعلمي لتحرير الرقيق بأنه تدبير تمليه "ضرورة عسكرية" هدفه تشجيع الأرقاء على تركهم المزارع والانضمام إلى جيوش الاتحاد المتقدمة في زحفها.

وكدأبه دائما، وازن لنكولن بحرص وعناية بين أهدافه المتناقضة في حين كان يعمل على تحقيق غرض أكبر. فقد ظل إعلان تحرير الرّق صامتا غافلا ذكر الأرقاء في الولايات الحدودية التي لم تنضم إلى الكونفدرالية بما فيها كنتاكي وميزوري وماريلاند وديلاوير (بالإضافة إلى أجزاء من ولاية تنيسي احتلها الاتحاد). وبهذا استطاع لنكولن كسب تأييد تلك الولايات الحساسة وتلافى نفور المحافظين الشماليين والموالين للاتحاد في الجنوب واستبعادهم. ورغم ذلك فإن لنكولن كان مدركا أن إعلان تحرير الرقيق كان إعلانا عادلا من الناحية الأخلاقية. كذلك أدرك أن من شأنه أن يرفع معنويات الاتحاد برفع المستوى الأخلاقي للحرب وجعلها حربا في سبيل الحقوق الإنسانية. وعوّل على إعلان تحرير الرقيق بالطبع في أن يحول دون تدخل بريطانيا وفرنسا، اللتين تعارضان الرق، في الحرب إلى جانب الجنوب.

لدى انتهاء الحرب: احتشدت الجماهير في مدينة ريتشموند بولاية فرجينيا، العاصمة السابقة للدولة الكونفدرالية، للترحيب بالرئيس لنكولن.

أثبتت غريزة الرئيس الدبلوماسية الفطرية صحتها ونجاحها. إذ كان عدد من القادة والعلماء الغربيين قد أدخلوا في حساباتهم أن ولايات متحدة منقسمة إلى دولتين متنافستين ستشكل أفضل خدمة لبلدانهم. إلا أن إعلان تحرير الرقيق جاء بمثابة الأداة الفعالة لضرب تلك المشاعر والتغلب عليها. ظن بعض رجال الدولة البريطانيين في البداية أن الوثيقة مجرد رياء ينافق به الاتحاد من أجل انتزاع نصر من هزيمة محققة عن طريق تحريض العبيد على الثورة. إذا كانت الحرب معنية بمشكلة الرقيق، فلماذا أعلن لنكولن أنها لصيانة الاتحاد؟

في الحقيقة، كانت الوزارة البريطانية قد درست في تشرين الثاني/نوفمبر برئاسة رئيس الوزراء اللورد بالمرستون اقتراحا بالتدخل عن طريق الاعتراف بالكونفدرالية وإرغام الاتحاد بهذه الطريقة على التفاوض على السلام. غير أن الوزارة صوتت بأغلبية ساحقة ضد الاقتراح لأنها لم تُرد أن يُنظر إلى بريطانيا على أنها تقف في صف الولايات التي تحتفظ بالرقيق ضد لنكولن المنادي بتحريرهم. ثم رفضت بريطانيا مع روسيا بعد ذلك اقتراحا عرضه الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث بالمطالبة بهدنة مدعومة بقوة متعددة الأطراف تفرض الهدنة في حال رفض أي من الطرفين الأميركيين المتحاربين الطلب (كان الاقتراح في الواقع بمثابة تهديد للشمال لأن الهدنة من شأنها أن تجعل استقلال الجنوب تحصيل حاصل). وأدركت حكومة بالمرستون البريطانية بنهاية العام 1862 أنه مهما كان المزيج السياسي والغريزة الأخلاقية التي دفعت لنكولن إلى إعلان تحرير الرقيق فإن النتيجة، حتى ولو أن دوافعه ونواياه لم تكن صافية 100 بالمئة، ستكون مرغوبة ومنصفة.

مولد جديد للحرية

وهكذا كان. فعندما تحقق النصر للشمال في النهاية في نيسان/أبريل 1865، كان قد اتضح جليا أن الرئيس قد أوفى بوعده وأنقذ الاتحاد فعلا. ولكن ليس الاتحاد الذي كان في العام 1861. كذلك اتضحت من تعديلات الدستور الأميركي التي تمت بعد الحرب وضمنت عدم السماح للأميركيين بوجود الرقيق على أراضيهم أبدا، الرؤيا الحقيقة الشاملة للنكولن. فقد رعى لنكولن مخاض مولد جديد للحرية على أساس الحقوق الطبيعية المتجسدة في إعلان الاستقلال. وكان دور لنكولن كدبلوماسي بارع عنصرا لا غنى عنه في إحباط أي تدخل أوروبي وتحقيق النصر في معركة أخرى منسيّة غالبا ولكنها كانت حاسمة في معارك الحرب الأهلية. أبراهام لنكولن الدبلوماسي: الحرب الأهلية.

أوباما: أبراهام لنكولن "جعل قصتي ممكنة"

أوباما يحتفل بإحياء ذكرى مولد الرئيس الـ16 للولايات المتحدة

أشاد الرئيس باراك أوباما بمواقف رئيس أميركا السادس عشر أبراهام لنكولن الذي قاد البلاد في ظرف من أحلك ظروفها، وبذل أقصى جهده وحنكته في سبيل استعادة وحدة البلاد التي مزقتها الحرب الأهلية. وذكّر في كلمة له في الكونغرس، يوم الخميس 12 شباط/فبراير بمناسبة الذكرى المئتين لمولد لنكولن بأن العمل استمر من أجل بناء المستقبل رغم الحرب وانشقاق الأمة آنذاك.

في ما يلي نص كلمة الرئيس أوباما في الكونغرس، التي أصدرها البيت الأبيض، كما أعدت للإلقاء:

إنه لشرف أن أكون هنا – في المكان الذي خدم فيه لنكولن وجرى تنصيبه فيه، وحيث ودّعته الأمة التي أنقذها الوداع الأخير. وإننا إذ نحتفل بالذكرى المئتين لمولد رئيسنا السادس عشر، لا أستطيع أن أدّعي أنني على معرفة بسيرة حياته وأعماله أكثر مما يعرف عنه الذين سيتكلمون عنه اليوم أيضا. لكن ما يمكنني قوله هو أنني أقر بعرفان خاص لهذه الشخصية الفريدة الذي تمكن بطرق كثيرة من جعل قصتي ممكنة، والذي جعل بأساليب متعددة أيضا قصة أميركا ممكنة.

إن مبنى الكابيتول (مبنى الكونغرس) هو المكان اللائق بإقامة هذا الاحتفال. فحياة هذا المبنى ستظل مرتبطة إلى الأبد ارتباطا وثيقا بزمن ذلك الرئيس الخالد. ففي هذا المبنى الذي شيّده الفنانون والحرفيون والأرقّاء، وتحت قبّته تلقّى جنود الاتحاد المساعدة في مستشفى مؤقت. وفي الطابق السفلي، تحت الأرض، خُبز لهم خبزهم الذي منحهم القوّة، وفي قاعات مجلسي الشيوخ والنواب هجعوا في الليل وقضّوا بعض أيامهم.

إن ما رآه الجند عندما نظروا إلى هذا المبنى كان مشهدا مختلفا عما نراه نحن اليوم. فالمبنى لم يكتمل بناؤه إلا بعد نهاية الحرب. والعمال الذي قدموا لتشييد قبته، جاءوا لأداء العمل وهم يتساءلون عما إذا كان ذلك اليوم سيكون يومهم الأخير، وما إذا كانت المعادن التي يستخدمونها لصناعة هيكل القبة سيتم سحبها للاستخدام في المجهود الحربي وسوف تُصهر لكي تتحول إلى طلقات من الرصاص. لكن الأيام مرّت دون صدور أمر بوقف البناء، واستمر العمل واستمر البناء.

ولمّا أُبلغ الرئيس لنكولن في النهاية بكمية المعادن التي تم استخدامها جاء رده مقتضبا واضحا وهو أنه هذا ما يجب أن يكون. فقد كان يعتقد أنه لا بد من تذكير الأميركيين بأن العمل يجب أن يستمر حتى في أوقات الحرب، وحتى إذا كان الشعب نفسه في حال من القلق والشك فالعمل جار من أجل ضمان مستقبله ، وبأنه عندما يأتي ذلك اليوم البعيد وتسكت المدافع سيتنصب مبنى الكابيتول القومي وعلى قمته تمثال للحرية كرمز للوحدة في أرض ما زالت عاكفة على رتق خلافاتها.

هذا الشعور بمفهوم الوحدة، وهذه القدرة على التخطيط لمستقبل مشترك، حتى في الظرف الذي كانت فيه أمتنا ممزقة، هما ما أذكّر بهما اليوم، وعلى الرغم من أن هناك لحظات كثيرة تعيها الذاكرة وتكشف عن ذلك الجانب بصفة خاصة من هذا الرجل الرائع- الجانب الخاص بشخصيته القيادية- فهناك جانب أود أن أشرككم معي في تذكره اليوم.

كان الرئيس لنكولن في أحد أيام الأسابيع الأخيرة للحرب على ظهر سفينة القيادة (للجنرال) غرانت "ملكة النهر" (ريفر كوين) عندما سئل عما ينبغي عمله مع قوات المتمردين عندما يستسلم الجنرال لي. كان بإمكان لنكولن، والنصر أصبح وشيكا، أن يسعى للثأر.

الرئيس باراك أوباما يلقي خطاب تنصيبه بعد أداء القسم مباشرة.

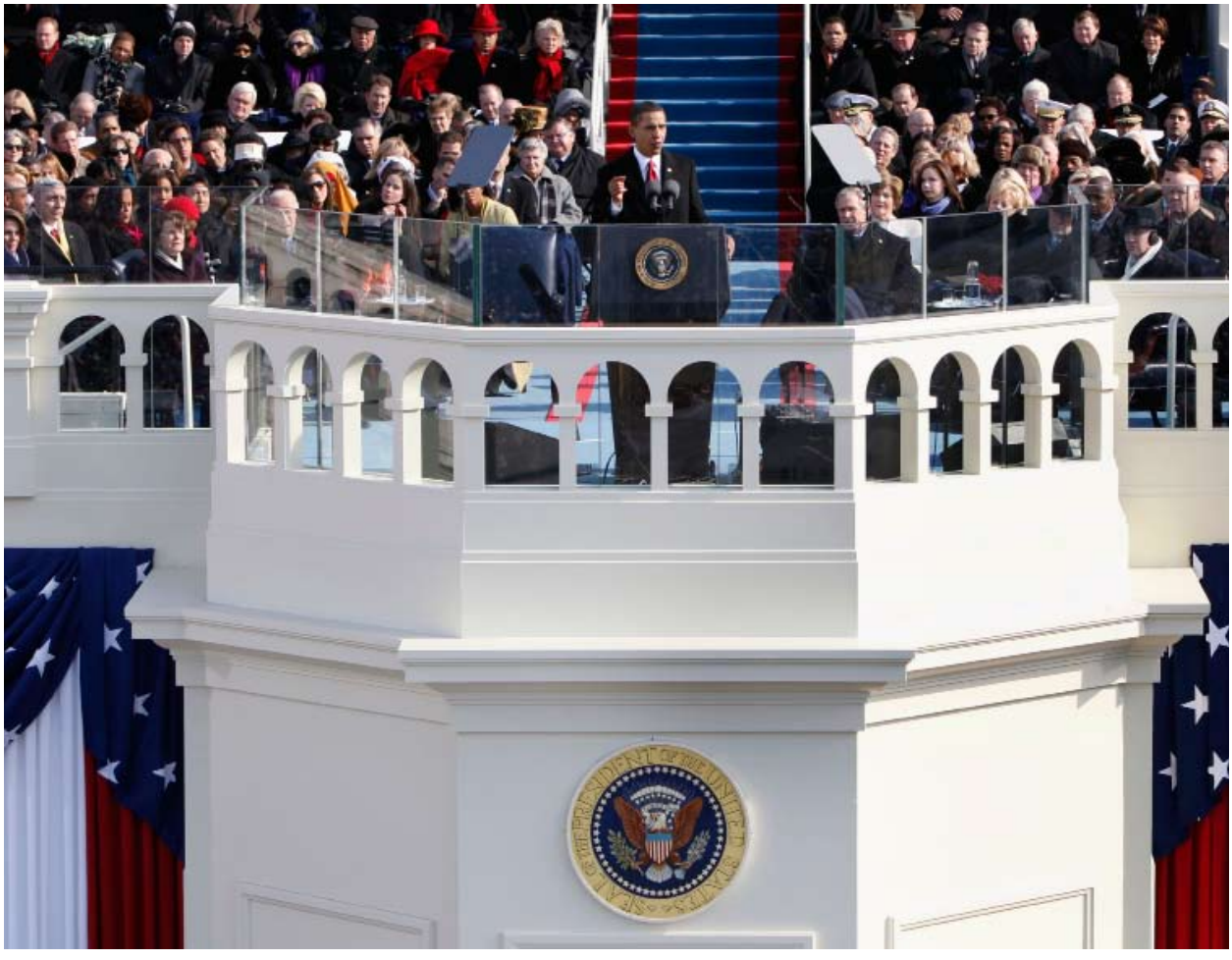

الرئيس باراك أوباما يلقي خطاب تنصيبه في مبنى الكابيتول، 20كانون الثاني/يناير، 2009.

وكان بإمكانه أن يجبر الجنوب على دفع ثمن باهظ لتمرده. لكنه رغم كل ما سُفك من دماء وكل ما وقع من بؤس وويل أنزله كل جانب على الآخر، فإن لنكولن أمر بألا يعاقب ولا حتى جندي واحد من الجنود الكونفدراليين.

وإنما أمر بأن يعاملوا حسب تعبيره "بمنتهى الحرية التامة." وكان كل ما أراده لنكولن هو أن يعود الجنود الكونفدراليون إلى بيوتهم ويعودوا إلى العمل في مزارعهم وحوانيتهم. وقال إنه مستعد، حسب تعبيره "للسماح لهم بأن يأخذوا خيولهم كي يحرثوا بها ... وبنادقهم كي يصطادوا بها الغربان."

هذه هي الطريقة الوحيدة التي عرفها لنكولن لرأب الصدع وتسوية الخلافات التي مزقت هذا البلد وقسمته.

كانت السبيل الوحيد لكي تلتئم الجراح ويتحقق الشفاء الذي كانت الأمة بأمس الحاجة إليه. فالشيء الذي لم ينسه لنكولن قط، ولا حتى في غمرة الحرب الأهلية ورغم كل ما سبب انقسامنا – بين جنوب وشمال، وأسود وأبيض- هو أننا كنا في أعماق قلوبنا أمة واحدة، شعبا واحدا يجمعنا رباطنا كأميركيين، وهو رباط لا ينقطع.

ولذلك دعونا ونحن نلتقي هنا اليوم، في وقت نحن أقل انقساما إلى حد كبير فيه عن الانقسام الذي كان في زمن لنكولن، ولكننا حينما نتجادل حول قضايانا الهامة اليوم – وجدلنا يتسم بالحدة والقوة- فلنتذكر أننا إنما نفعل هذا ونحن في خدمة العلم ذاته، ونمثل الشعب ذاته.

وأننا أصحاب مصلحة في مصير مشترك. فهذا أليق تكريم نستطيع أن نقدمه – وأكثر النصب التذكارية التي نستطيع بناءها لتبقى على الدوام- لأكثر الرجال روعة، أبراهام لنكولن. شكرا لكم.

قناع لنكولن: صور لسر غامض دائم

معرض جديد يكشف عن دور لنكولن التحولي

من لورين مونسن، المحررة في موقع أميركا

اشتهر الرئيس أبراهام لنكولن (1865-1809) على نطاق واسع كواحد من أعظم رؤساء الولايات المتحدة، ولعله أكثر من نال إعجابا كشخصية فذة مؤثرة في التاريخ الأميركي. ويبقى لنكولن، رغم دراسته من أجيال متعاقبة من طلاب المدارس والمتحمسين لدراسة الحرب الأهلية والمؤرخين، لغزا محيرا وأحجية للناس اليوم كما كان لمعاصريه.

فطبيعة لنكولن المحيرة المستعصية على الإدراك، والمزايا التي مكنته من توجيه بلاده وقيادتها في أصعب أزماتها، وهي الحرب الأهلية (1865-1861)، هي المحور المركزي لاهتمام معرض جديد تحت شعار "حياة واحدة: قناع لنكولن" يتم عرضه حاليا في متحف معهد سميثسونيان القومي للوحات والصور. ويعرض المعرض صورا وأدوات نادرة بما فيها قناعان من الحياة (قالبان من الجص لوجه لنكولن يظهران ثلاثة أبعاد لملامح الرجل بما في ذلك الثآليل التي في وجهه وغيرها من الملامح). وتقرّب تلك الأدوات زوار المعرض بتشوق ولهفة من الشخصية المبهمة التي تبدو وكأنها تخيم دائما ولكنها تبقى بعيدة عن المنال.

وبما أنه عاش في وقت كان فيه التصوير الفوتوغرافي قد بدأت بواكير تكنولوجيته، فقد تمتع لنكولن بميزة حرم منها من سبقه من الرؤساء، وهي فرصة نشر صورته في طول البلاد وعرضها، وحتى في تكوين تلك الصورة إلى حد كبير. إذ يوضح أمين معرض "حياة واحدة"، ديفيد وورد، أن لنكولن استوعب بسرعة آثار وأهمية التصوير الفوتوغرافي وأبعاده فتبناه كواسطة جديدة.

فعندما ظهر لنكولن من المجهول وجعل لنفسه اسما بارزا في المحاماة أولا ثم كسياسي في ما بعد، دأب على زيارة استوديوهات المصورين حيث يجلس لالتقاط صوره. وتكشف المطبوعات المصورة المبكرة للنكولن عن شخص "يقدم نفسه كاجتماعي ملتزم وشخصية مسؤولة" يرتدي البذلات الرسمية.

ويقول وورد إن الصورة التي أوحى بها لنكولن من خلال تلك الصور لا شك ساعدت على تشكيل انطباع بأنه مرشح جدي بالنسبة لمنصب عال. ويرجع الفضل لإحدى الصور المعروضة في معرض حياة واحدة "بالفعل في جعله رئيسا."

التقدم في طليعة أميركا القرن التاسع عشر

حياة واحدة: قناع لنكولن، معرض يظهر بجلاء أن لنكولن استطاع أن يتغلب على ماضيه الذي نبع من الفقر باستعمال فطنته وذكائه وشخصيته القيادية المؤثرة وطموحه المتقد. والواقع، كما قال وورد، هو أن أحد صحفيي زمان لنكولن وصفه مستهينا به بقوله "إن آلة طموحه الصغيرة لا تعرف الراحة." ومع ذلك فسرعان ما أدرك أولئك الذين قللوا من شأنه في البداية أن لنكولن كان يمتلك مواهب فائقة.

قال وورد إنه كان على المرء، كي يبرز وينجح في القرن التاسع عشر، أن "يمتلك خصلتين: أن يكون قويا جدا جسديا" الأمر الذي كان أساسيا في بيئة صعبة وعرة "ومرحا مؤانسا بطريقة يكون لها صدى عند رجال مجتمع الحدود." وكان لنكولن بطوله البالغ مترا و93 سنتيمترا (6 أقدام و4 بوصات، أو إنشات) يفرض انطباع المهابة والقوة الجسدية. وكان يفوز باستمرار في مباريات القوة الضاربة بالاستعراض بالفأس، وهو ضرب من اللهو والتسلية، قال وورد، إنه كان سائدا في القرن التاسع عشر. وأضاف أنه علاوة على ذلك كان لنكولن "قادرا على رواية القصص والحكايات والنكات" وهي موهبة كانت هامة في الساحة السياسية. ويقول وورد إن قدرة لنكولن على المخالطة الاجتماعية وتمتعه بروح طرافة الإضحاك على نفسه "كانت جزءا مهما من قدرته على جعل الرجال يتبعونه."

وعلى الرغم من أن الانطباعات والتسميات الشعبية للنكولن مثل "إيب الصادق" لم تكن بعيدة عن الدقة، فإن تلك الأوصاف كانت في معظمها من صنع مديري الحملات الانتخابية الأذكياء الذين كانوا يعملون بنفس

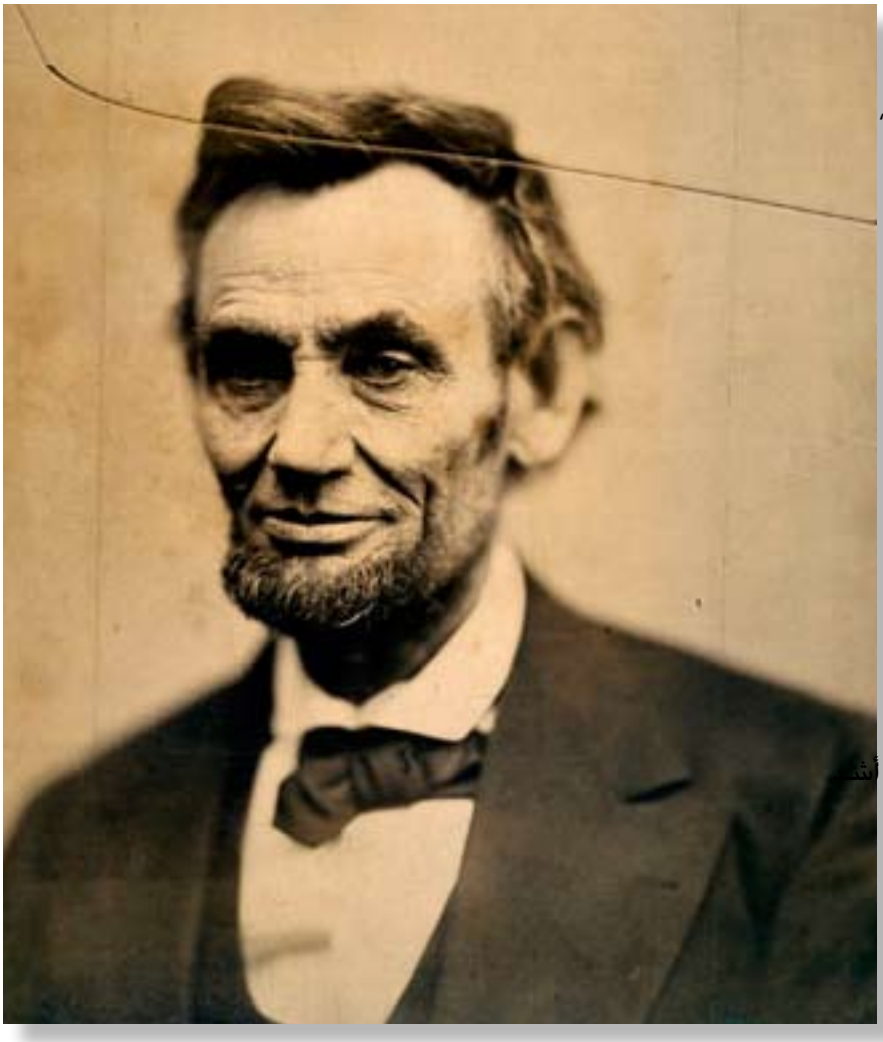

صورة ألكزاندر الشهيرة في العام 1865 "اللوح المشقوق" تصور لنكولن المرهق المهموم قبل شهرين من اغتياله.

الطريقة التي يعمل بها العاملون في الحملات السياسية اليوم. فلم يطل الوقت حتى تلاشت الفكرة عن لنكولن بأنه رجل السهول والبراري لكل الرجال ليحل محلها انطباع رجل الدولة.

وعززت الصور العديدة الملتقطة له في الاستوديوهات في ستينات القرن التاسع عشر الاعتقاد بلنكولن كرئيس تنفيذي جليل.

وإبان تصاعد الحرب الأهلية، أطلق لنكولن لحيته، والسبب الأرجح هو أنه أراد أن يبدو أشد سلطة وأقوى في وقت "كانت فيه البلاد القلقة تتطلع إلى قيادته." ويقول وورد " إن اللحية ترمز إلى أنه كان على استعداد للمعركة. وهي بالمعنى الحرفي تعبير عن الرجولة.

" كذلك كان لصور لنكولن الفوتوغرافية مع الجنرالات والجنود في ساحة المعركة تأثير ورسالة أيضا. ويقول وورد إن "تلك الصور تبين أنه كان مشاركا فعلا في إدارة الحرب كقائد أعلى. كما تبيّن السيطرة المدنية على العسكريين. فلنكولن يظهر من خلالها أنه مسيطر."

التحوّل

خلق لنكولن بموالاته لقضية الاتحاد، وهو قوى الشمال التي عارضت الرّق وانشقاق ولايات الجنوب الكونفدرالية، "شعورا لا يلين بمسؤولية الرسالة" ومهمة الحفاظ على الجمهورية. ويقول وورد إن لنكولن، علاوة على ذلك، "كان رجلا مخلصا روحانيا مع أنه لم ينتم إلى أي كنيسة. فقد تصرف طبقا لشعوره بأن تلك إرادة الله، الأمر الذي جعله حرّ التصرف في ما يراه مناسبا."

وكان لضغوط الحرب أن غيرت لنكولن وحولته من سياسي رشيق سريع البديهة إلى واحد من عمالقة التاريخ. ويقول وورد إن لنكولن استعاد الالتزام الذي تأسست عليه البلاد بمبدأ الحرية و"استرد الاعتقاد بأن أميركا مكان لإمكانيات لا تحد. فكان رجلا لا غنى عنه في زمانه."

من بين أهم كنوز معرض "حياة واحدة: قناع لنكولن"، صورة مطبوعة بالفضة الزلالية، تعرف الآن بصورة اللوح الزجاجي المشقوق، والتي أصبحت بمثابة أهم صورة أيقونية للنكولن على الإطلاق. التقط الصورة ألكزاندر غاردنر في العام 1865 وهي تكشف عن لنكولن الرجل المفكر المتأمل الذي بدا عليه التعب والهم واضحين. وتعبر نظرته المباشرة إلى الكاميرا عن مزيج من حزن رثائي وإشفاق عطوف.

ويظهر في الصورة شق يبدأ من زاويتها العليا على اليسار وينحدر إلى الوسط وإلى اليمين مارا بقمة رأس لنكولن.

وهذا العيب البارز، الناجم عن شق في اللوح الزجاجي المكسور للصورة نتيجة لإهمال المصور أو مساعده في معاملة اللوح، يجعل منها أبقى صورة في الذاكرة وأكثرها تأثيرا. وعلى الرغم من هذا الأصل العرضي للشق، فإنه يمثل رمزا قويا للأمة المنشقة التي كان لنكولن جاهدا في إعادة لُحمتها.

ولعل الانطباع المتشائم الذي يتركه الشق هو الذي ينبئ بمسار رصاصة القاتل التي سلبت لنكولن حياته بعد شهرين.

قول وورد إن "لنكولن كان دائما واعيا بموته" وعدم ديمومته، إذ توحي الصورة بنوع من القدَرية. "فهي تكاد تكون صورة شبحية. إذ يبدو لنكولن وكأنه يتلاشى مختفيا في التاريخ وينساب منزلقا بعيدا عنا كلما حاولنا الاقتراب منه." ويشير وورد إلى أن "هناك ابتسامة باهتة" أيضا على وجه لنكولن تذكّر بلوحة ليوناردو دافينشي الشهيرة الرائعة مونا ليزا التي تزيد من كثافة جو الغموض.

ومما يذكر أن المحافظة على اللوحة كانت مجرد ضربة حظ. فقد كان من الممكن جدا اعتبارها "غير صالحة ورميها" والتخلص منها باعتبار أن الشق يشوهها.

ليس هناك جدل في أن الصورة المشقوقة تجد صورة شخصية المعرض، وهي التي أكثر ما تعبر عن الشخصية المشابهة لإبي الهول لرئيس الولايات المتحدة الـ16، الشخصية الغامضة التي ما فتئت تأسر خيال المواطنين وتحيرهم بعد نحو 200 سنة من وفاته.

افتتح معرض "حياة واحدة: قناع لنكولن" في 7 تشرين الثاني/نوفمبر، 2008، ويستمر حتى 5 تموز/يوليو، 2009.

"يقال إن لكل إنسان طموحة الخاص. وسواء صدق القول أم لا، أقول: أنا واحد ليس لي طموح أكثر من أن أكون محترما فعلا من أبناء وطني، بجعل نفسي جديرا باحترامهم."

أبراهام لنكولن: أقوال حكيمة

"لا أدّعي أنني أسيطر على مجرى الأحداث. لكنني أعترف صراحة أن الأحداث هي التي سيطرت عليّ."

"رأي الشعب هو كل شيء. فبرأي الشعب لا يخيب شيء. وبدونه لا شيء ينجح."

"إجهد في النهي عن التقاضي. واقنع جيرانك بحل المشاكل بالتراضي ما أمكنك. بيّن لهم أن الرابح اسميا هو غالبا الخاسر فعليا. خسارة الرسوم والنفقات والوقت الضائع. المحامي، كوسيط صانع للسلام، فرصته عظيمة في أن يكون إنسانا حميدا. أما العمل بأجر فسيكون هناك منه ما يكفي."

"يحكى أن ملكا في الشرق كلّف مستشاريه الحكماء يوما، أن يبتكروا له جملة تبقى ماثلة دائما في الأذهان، تكون صادقة، مناسبة لكل الأحوال والأزمان. جاؤوه بهذه الكلمات: 'وهذا أيضا سيزول.' كم هي معبّرة! وكم هي ناهية ساعة الغرور! وكم فيها عزاء في غمرة ألم المصاب!"

"بطاقات الانتخاب، هي الخليفة المناسبة السلمية للرصاصات."

"إنما الأخلاق كالشجرة، والسُّمعة كالظل. الظل هو ما نفكّر فيه، لكن الشجرة هي الحقيقة."

"يقال إن لكل إنسان طموحة الخاص. وسواء صدق القول أم لا، أقول: أنا واحد ليس لي طموح أكثر من أن أكون محترما فعلا من أبناء وطني، بجعل نفسي جديرا باحترامهم."

"كل امرئ يود أن يعيش طويلا، ولكن، لا أحد يود أن يكون مسنا."

"إذا أنا لم أحب ذلك الشخص، يجب عليّ أن أعرفه بشكل أفضل."

"إذا كنت تبحث عن جانب السوء في الناس كي تجده، فإنك حتما ستجده."

"تعلّمت من تجربتي أن الناس الذين ليس لهم سيئات، حسناتهم قليلة."

"سعادة معظم الناس، تكون بمقدار ما تتصورها عقولهم."

"إن التأكيد على أن 'كل الناس خلقوا متساوين' لم يكن للاستخدام العملي لانفصالنا عن بريطانيا العظمى، ولم يوضع في إعلان (الاستقلال) لذلك السبب، وإنما لاستخدامه في المستقبل."

"بطاقة الانتخاب أقوى من الرصاص."

"إن أفضل طريقة للقضاء على العدو، هي أن تجعله صديقا."

"إن أحسن طريقة لإلغاء قانون سيء، هي أن يتم تطبيقه بشدة."

"إن احتمال هزيمتنا في أي نزاع، يجب أن لا يثنينا عن تأييد القضايا التي نؤمن بأنها عادلة."

"إن التزام الرجال الصمت حين يجب أن يجاهروا بالاحتجاج يجعل منهم جبناء."

"ما يقتل الظربان (حيوان ذو رائحة نتنة) هي الدعاية (الرائحة النتنة) التي يعلن بها عن نفسه."

"مهما كنت، كن إنسانا طيبا."

"بدون ضغينة تجاه أحد، وبمودة للجميع، وبالحزم في الحق، كما يريه الله لنا حقا، دعونا نجدّ في إنجاز العمل الذي نحن بصدده، ولنضمد جراح الأمّة."

"يمكن أن تخدع كل الناس بعض الوقت، وبعض الناس كل الوقت، لكنك لن تستطيع خداع كل الناس كل الوقت."

"لا يمكنك بناء خلق شخصي وشجاعة في رجل، إذا أنت سلبته مبادرته الشخصية واستقلاله."

"لا يمكنك التهرب من مسؤولية الغد، بالتهرب من مسؤولية اليوم."

"لو أردتُ قراءة كل الهجمات التي تشن ضدي، والرد عليها بقدر أقل، لكان عليّ أن أغلق هذا المكان أمام أي عمل آخر، لكنني أفعل أفضل ما أعرف، وأفضل ما أستطيع، وأنا أعني أنني سأواظب على ذلك حتى النهاية. وإذا تم كل ذلك في النهاية وكنت على صواب، فإن كل ما قيل عني لا يساوي شيئا. أما إذا أثبتت النهاية خطأي، فلو حلف عشرة ملائكة أنني على صواب لن يفيد."

"أولئك الذين يحرمون غيرهم الحرية، يستحقون هم حرمانهم منها، ولن يستطيعوا الاحتفاظ بها طويلا، تحت حكم رب عادل."

"الناس ذوو المظهر العادي، هم أفضل الخَلق في العالم، لذا خلق الله هذا الكثير منهم."

مصادر إضافية

BOOKS

Carwardine, Richard. Lincoln: A Life of Purpose and Power. New York: Alfred A. Knopf, 2006.

Cozzens, Peter. Shenandoah 1862: Stonewall Jackson's Valley Campaign. Chapel Hill, NC : University of North Carolina Press, 2008.

Donald, David H., and Harold Holzer. Lincoln in The Times: The Life of Abraham Lincoln, as Originally Reported in the New York Times. New York: St. Martin's Press, 2005.

Donald, David H. Lincoln. New York: Simon and Schuster, 1995.

Ferguson, Andrew. Land of Lincoln: Adventures in Abe's America. New York: Atlantic Monthly Press; distributed by Publishers Group West, 2007.

Goodwin, Doris Kearns. Team of Rivals: The Political Genius of Abraham Lincoln. New York: Simon and Schuster, 2005.

Herndon, William H., and Jesse W. Weik. Herndon's Lincoln; edited by Douglas L. Wilson and Rodney O. Davis. Galesburg, IL: Knox College Lincoln Studies Center; Urbana, IL: University of Illinois Press, 2006. (Published in association with the Abraham Lincoln Bicentennial Commission.)

Holzer, Harold and Sara V. Gabbard, eds. Lincoln and Freedom: Slavery, Emancipation, and the Thirteenth Amendment. Carbondale, IL: Southern Illinois University Press, 2007. (Published in conjunction with the Lincoln Museum, Fort Wayne, Indiana.)

Holzer, Harold. Lincoln President-Elect: Abraham Lincoln and the Great Secession Winter 1860-1861. New York: Simon and Schuster, 2008.

Holzer, Harold. Lincoln Revisited: New Insights From the Lincoln Forum; edited by John Y. Simon, Harold Holzer, and Dawn Vogel. New York: Fordham University, 2007. (Essays originally delivered as Lincoln Forum lectures between 2003 and 2005.)

Jones, Howard. Abraham Lincoln and a New Birth of Freedom: The Union and Slavery in the Diplomacy of the Civil War. Lincoln : University of Nebraska Press, 1999.

Lincoln, Abraham. The Lincoln-Douglas Debates; edited by Rodney O. Davis and Douglas L. Wilson. Urbana, IL: Knox College Lincoln Studies Center, University of Illinois Press, 2008.

Lincoln, Abraham. Selected Speeches and Writings. 1st Vintage Books, Library of America ed. New York: Vintage Books, 1992.
[The texts are selected from The Collected Works of Abraham Lincoln, edited by Roy Basler (1953), and its supplement (1974), and annotated by Don E. Fehrenbacher.]

Sandburg, Carl. Abraham Lincoln: The Prairie Years and the War Years. San Diego: Harcourt, Brace Jovanovich, c1982.

White, Ronald C. The Eloquent President: A Portrait of Lincoln Through His Words. New York: Random House, 2005.

Wilson, Douglas L. Lincoln's Sword: The Presidency and the Power of Words. New York: Alfred A. Knopf, 2006.

YOUNG ADULT

Herbert, Janis. Abraham Lincoln for Kids: His Life and Times With 21 Activities. Chicago: Chicago Review Press, 2007.

Mayer, Cassie. Abraham Lincoln. Chicago: Heinemann Library, 2008.

Pascal, Janet B. Who Was Abraham Lincoln? New York: Grosset and Dunlap, 2008.

Trumbauer, Lisa. Abraham Lincoln and the Civil War. Chicago, IL: Heinemann Library, 2008.

INTERNET RESOURCES

GOVERNMENT

Abraham Lincoln Bicentennial Commission
http://www.lincolnbicentennial.gov

Abraham Lincoln Papers
Library of Congress
The complete Abraham Lincoln Papers at the Library of Congress consists of approximately 20,000 documents, organized into three "General Correspondence" series that include incoming and outgoing correspondence and enclosures, drafts of speeches, and notes and printed material. Most of the 20,000 items are from the 1850s through Lincoln's presidential years, 1860-1965. The collection encompasses approximately 61,000 images and 10,000 transcriptions.
http://memory.loc.gov/ammem/alhtml/malhome.html

Abraham Lincoln Presidential Library and Museum
The Presidential Library is a public, non-circulating research library specializing in Abraham Lincoln and Illinois history. Collections include books, pamphlets, maps, and periodicals; photographs, films, tapes, and broadsides; manuscripts; and Illinois newspapers on microfilm. The library contains extensive resources on the Civil War and many publications useful for genealogical research, as well as the renowned Henry Horner Lincoln collection.
http://www.alpl.org/home.html

ACADEMIC AND PRIVATE

Abraham Lincoln Association
The Abraham Lincoln Association has made significant contributions to keeping alive his unique story and ideals. Those contributions have taken many forms, including the publication of scholarly works, providing teaching materials to students, and providing preservation assistance for Lincoln sites.
http://www.abrahamlincolnassociation.org/

Abraham Lincoln Book Shop
Established in 1938, the Abraham Lincoln Book Shop serves the needs of collectors and scholars, professional historians and independent writers, dedicated first edition hunters, and casual history enthusiasts.
http://www.alincolnbookshop.com/html/bibliographies.htm

Lincoln Institute
The Lincoln Institute concentrates on providing support and assistance to scholars and groups involved in the study of the life of America's 16th president and the impact he had on the preservation of the Union, the emancipation of black slaves, and the development of democratic principles that have found worldwide application.
http://www.abrahamlincoln.org

Miller Center of Public Affairs: Abraham Lincoln (1809-1865)
University of Virginia
The Miller Center of Public Affairs is a national nonpartisan center to research, reflect, and report on American government, with special attention to the central role and history of the presidency.

http://millercenter.virginia.edu/academic/americanpresident/lincoln

Northern Illinois University
Lincoln Digitalization Project
Before Abraham Lincoln became the nation's chief executive, he led a fascinating life that sheds considerable light upon significant themes in American history. This World Wide Web site presents materials from Lincoln's Illinois years (1830-1861), supplemented by resources from Illinois' early years of statehood (1818-1829). The collection provides a record of Lincoln's early career and helps readers fix his experiences within Lincoln's social and political mileu.

http://lincoln.lib.niu.edu

Presidential Papers of Abraham Lincoln
A collaborative project of the Abraham Lincoln Association, the Lincoln Studies Center, the Library of Congress, the Lehrman Institute, and the Lincoln Institute, this effort supplements and coordinates a number of other efforts to create an authoritative, comprehensive, on-line version of Lincoln's words and his incoming correspondence.

http://www.presidentialpapersofabrahamlincolnonline.org/index2.html

وزارة الخارجية الأميركية
مكتب برامج الإعلام الخارجي، 2008
/http://www.america.gov/ar

حقوق نشر الصور:

الغلاف: مكتبة الكونغرس، قسم المطبوعات والصور، داخل الغلاف الأول، PhotoSpin، الصفحة 2: AP Images، الصفحتان 3 و6: PhotoSpin، الصفحة 7: Jupiterimages، الصفحتان 8 و9: مكتبة الكونغرس، قسم المطبوعات والصور؛ © Layne Kennedy / CORBIS، Seth Perlman /AP Images; PhotoSpin، الصفحة 10: سيث بيرلمان/ AP Images، الصفحة 11: تينا فاينبيرغ/ AP Images، الصفحة 12: جيمس مان/ AP Images- جون لوفريتا/ AP Images؛ ديفيد مانلي/ AP Images؛ روبين لوزناك/ AP Images؛ الصفحة 13: بوب غوميل/ Getty Images؛ © Bettmann /CORBIS، الصفحة 14: مكتبة الكونغرس، قسم المطبوعات والصور، الصفحة 15: بإذن من الموقع الأثري لمنزل ابراهام لينكولن، الصفحة 16: مكتبة الكونغرس، قسم الوثائق الرسمية؛ بإذن من مكتبة ابراهام لينكولن في شيكاغو؛ مكتبة الكونغرس، قسم المطبوعات والصور؛ أرشيف نورث ويند بيكتشور، الصفحة 17: مكتبة الكونغرس قسم الخرائط؛ مجموعة غرانجر، نيويورك، الصفحة 18: © CORBIS Picture History ؛ مكتبة أبراهام لينكولن الرئاسية، الصفحتان 19 و20: مكتبة الكونغرس، قسم المطبوعات والصور، الصفحة 22: AP Images، الصفحة 23: Picture History، الصفحتان 24 و25: مكتبة أبراهام لينكولن الرئاسية، الصفحة 26: Picture History؛ مكتبة الكونغرس، قسم المطبوعات والصور، الصفحة 28: AP Images؛ متحف شيكاغو التاريخي؛ مجموعة غرانجر في نيويورك؛ مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 29:Picture History؛ الصفحة 30: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 31: AP Images.
الصفحة 32: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 33: بإذن من متحف فنيمور للفنون في نيويورك، الصفحة 34: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 35: Picture History؛ الصفحات 36 الى 38: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور؛ إدارة الأرشيف والسجلات القومية؛ مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 39: متنزه أبوماتوكس كورت هاوس التاريخي القومي، الصفحة 40: Picture History؛ الصفحة 41: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 42: مكتبة ميري إيفانز للصور في لندن، الصفحة 43: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 44: بيتمان/ CORBIS؛ مجموعة غرانجر في نيويورك، الصفحة 45: بيتمان/ CORBIS؛ الصفحتان 46 و47: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 48: CORBIS؛ الصفحة 49: مجموعة غرانجر؛ مكتبة ولاية إيلينوي التاريخية؛ بنك الصور العسكرية والتاريخية، الصفحة 50: مجموعة غرانجر في نيويورك؛ متحف شيكاغو التاريخي، الصفحات 51، 52، 53، و54: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، الصفحة 55: بيتمان/ CORBIS؛ الصفحة 56: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور؛ أرشيف صور نورث ويند، الصفحة 58: بإذن من متنزه غيتسبيرغ العسكري القومي، الصفحات 59، 60 و61: مكتبة الكونغرس قسم المطبوعات والصور، Museum

المدير التنفيذي: جورج كلاك،
رئيس التحرير: مايكل جاي فريدمان،
المديرة الفنية/التصميم: مين تشيه ياو
باحثة الصور: ماجي جونسون سليكر،

أبراهام
لنكولن

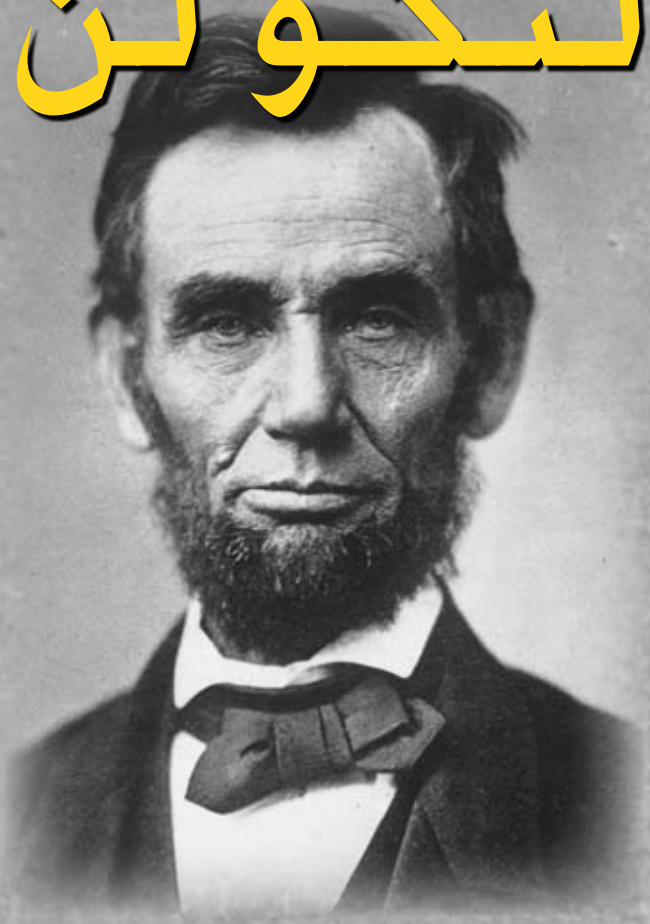

إرث من الحرية

وزارة الخارجية الأميركية/مكتب برامج الإعلام الخارجي
http://www.america.gov/ar/

ABRAHAM LINCOLN: A LEGACY OF FREEDOM

Book spine text -- optional for printing.